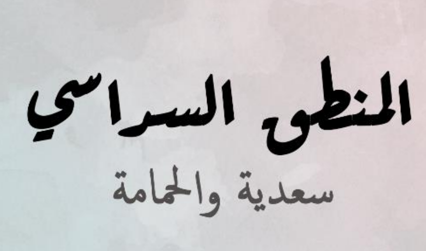
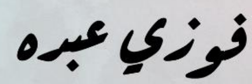
رواية ساخرة







ببلومانيا
للنشر والتوزيع

فوزي عبده

المنطق السراسي (سعدية والحمامة)

ببلومانيا للنشر والتوزيع

لم تجدِ كل المحاولات لردع سداس عن ملاحقة جده في كل مكان، واقتحامه مجلسه وإحراجه أمام ضيوفه نفعاً. لم يكن سداس ليكتفي بالجلوس إلى جانبه، بل كان يقاطع الجميع ويبدي رأيه بما يدور وهو على قناعة بأن حفيد الشيخ شيخ، وذات يوم، فرض الفتى سداس نفسه ورافق وفداً يترأسه عبود لأخذ هدنة من عائلة قُتل ابنها، ونجح الوفد بتهدئة النفوس والفوز بموافقة عائلة المغدور على الهدنة، والشيخ سداس الصغير الفصيح لا بد أن يكون له رأي، فوقف مخاطباً أهل القتيل وقال قوله السداسي الشهير:

- "كيك كيك ما فيكم ديك".

كلمات ركيكة قالها ولد جاهل تناقلتها الألسن بسرعة الضوء وتردد صداها حتى إنها أصبحت مثلاً للجبناء الذين تنازلوا عن الأخذ بالثأر، والـ "كيك كيك" السداسية ألهبت النار في قلوب الكبار قبل الصغار ونسفت جهود الإصلاح...





المنطق السراسي

(سعرية والحمامة)

المنطق السياسي

(شعرية والحمامة)

فوزي عبده



ببلومانيا للنشر والتوزيع



نوع العمل: رواية ساخرة

اسم العمل: المنطق السداسي (سعدية والحمامة)

اسم المؤلف: فوزي عبده

رسم وكاريكتر: الفنان أيمن القاضي

978-9950-329-55-3: ISBN

الناشر: دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المدير العام: جمال سليمان

تليفون: 26061014 (20+)

هاتف محمول: - 1065534541 (20+)

/ 1208868826(20+)

صفحة الدار على موقع فيسبوك :

https://www.facebook.com/bibliomania.eg/

الموقع الالكتروني: www.ebibliomania.com

الطبعة الأولى 1440 هـ -2018 م

إنها حمامة عجيبة ملعونة احتار الناس في

أمرها وأشغلت البلاد والعباد لسنوات،

لهذه الحمامة جذور وحكاية، وغمزة شفيقة

كانت البداية...

والدتها حذرتها مراراً وتكراراً ألا تغمز، حتى لا يسيء الناس تفسير غمزاتها، فكانت ترد في كل مرة:

- "والله العظيم عُمري ما غمزت يماااااااا".

حلفت بالله صدقاً، فغمزاتها لا إرادية، الكل يدري، وشفيقة لا تدري، تغمز حينما تُفكِّر... تُخطِّط... وتُتكْتِك...

(غمزة شمال غمزة يمين... شفيقة تفكر!)

(غمزة شمال غمزتين يمين... شفيقة تخطط!)

(غمزتين شمال غمزتين يمين... شفيقة تتكتك!)



لا تملك الكثير من الجمال، ابتسامتها مثيرة ومغرورة، لم تلتفت يوماً، لم تمل من نظرات المعجبين وغزلهم، حتى اعتقد البعض أن لا قلب بين ضلوعها، والحقيقة أنها رقيقة حساسة، تحلّق على أجنحة الخيال، ترتخي وتذوب، يخفق قلبها وتتسارع أنفاسها، تحملق وتبحلق، تتنهد وتتأوه، تفقد اتزانها وهيبتها في أي مكان وزمان، لا تولي من حولها أي اهتمام، حينما تقترب منه تحضنه وتلمسه وتتحسسه، وبعد أن تطبع قبلةً على وجهه تتمتم:

– "ما أحلاااك... قلبي وعيوني فداك...".

هذا ما تفعله إن مر بالقرب منها حصان، عشقها للخيل تجاوز حدود الهوس، مع أنها لم تعتلِ صهوة حصان قط، ولا تميز بينه وبين البغل في أغلب الأوقات... .

في موسم الزيتون، بدأت حكاية ابنة التاسعة عشرة، الجميلة قليلاً، "الهبلة" كثيراً... صادف أن شفيقة كانت وحدها تستعد للحاق ببقية أفراد عائلتها الذين سبقوها، كانت الشمس تتثاءب لتغرب وتنام... حين أطل الفارس الوسيم من على ظهر حصانه الأبيض قليلاً... البني كثيراً... ماراً بأرض أبو زعطوطة. تلاقت عينا الفارس المغرور كثيراً بعيني شفيقة الجميلة قليلاً... ومن النظرة الأولى وقع الفارس في غرام الابتسامة،

أسفل الشفتين قليلاً، فتمنى تذوقها، مع علمه أن ذلك صعب المنال... هذه الجميلة قليلاً، ابتسامتها تدل على الثقة والغرور، ولم يستبعد أن ترميه بحجر يفج رأسه، أو يقتلع عينيه إن لم يرفعهما فوراً عن ممتلكاتها.

وقبل أن يتراجع ويشيح ببصره بعيداً، رأى أن عينيها تفيضان بالحب والإعجاب، تتمايلان، تتنهدان، تتأوهان، ولا ترتفعان عنه... فحدث نفسه:

- "نعم أنا فخري الوسيم، لا بد أنها وقعت في غرامي".

لم يخطئ، فقد وقعت من النظرة الأولى في غرام الحصان الذي امتطاه، واتقدت عيناها برغبة اللمس والتحسيس وطبع قبلة على وجهه. بدأت تفكر، وحين تفكر، عيناها تغمز، غمزة شمال... غمزة يمين... وغمزاتها كانت بمثابة دعوة للفارس ليترجَّل عن صهوة حصانه. تمتمت شفيقة ولم تعِ أن تمتماتها مسموعة.

- "ما أجمله!! ما أروعه! كم هو رشيق!!!".

هنا لا بد من التخطيط لامتطاء الحصان... وحين تخطط شفيقة عيناها تغمزان، غمزة شمال... "غمزتين يمين"... فتجرأ الفارس الشجاع وسألها عن اسمها، فسألته عن اسم الحصان.

- "شو اسمك يا حلوة؟؟"

– "اسمي شفيقة... هو شو اسمه؟؟"

أجابها متباهياً بأصله ونسبه:

– "نخري ابن عبود شيخ شيوخ العرب".

تتنهد وتسبل عينيها وتقول:

– "اسم حلو... أحلى من الحلو...!".

وبسرها قالت:

– "راح أركبك يا حبيبي يا نخري، راح أركبك...".

تقصد الحصان وليس صاحبه، وتتكتك كيف يمكن لها أن تمتطيه، والتكتيك بحاجة إلى غمزتين شمال... غمزتين يمين... وهنا قرر نخري أن يحسم أمره فأمسك بيدها وقرَّبها من قلبه وقال:

– "حَبِّك يا شفيقة حَبِّك!". وقصد قلبه...

ردت عليه:

– "وأنا حبيته لفخري، حبيته!" وقصدت الحصان...

وكيف سيعلم نخري أن شفيقة بغمزها لا تغازله وإنما تغازل الحصان؟! فقرر أنه لم يعد هناك داعٍ للتمهل والانتظار، بعد أن أعلنت بلسانها وعينيها عن حبه، وبحركة شهوانية ضمها وقبلها. تفاجأت من وقاحته وقررت أن تضع حداً لتهوره، وفكرت، غمزة شمال... غمزة يمين...

والغمزات في مثل هذه الموقف تشد ولا تصد، فضمها بعنف وخنقها بقبلاته، وأمام هذه التجربة الفريدة لشفيقة توقفت عن الغمز.

تركتهما الشمس بحياء وذهبت لتغفو خلف الجبال، وأطل القمر الوقح من بين أغصان الزيتون، وابتهج وغمز وهو يراقب العاشقين يتعاشقان، بعد قصة حب عجيبة من الغمزة الأولى، شهدت اللحظة التي كانت سبباً في ولادة "سداس" شاعر العرب، الذي قال فيه الشيخ عبود بعد سنوات "هذا السداس نتيجة تزاوج بغل مع حمارة!".

كان ما كان، وافترق العاشقان، وحين وصلت شفيقة البيت استقبلتها والدتها أم هاشم، التي لاحظت أن ابنتها مبعثرة، مغبّرة، محمّرة، منكوشة، مهدودة، معضوضة، مرضوضة. شكت في أن أحد ضواري البرية ربما يكون قد هاجمها، فسألتها عن سر تأخرها، وكان لا بد من التفكير قبل الإجابة، غمزة شمال... غمزة يمين...

تساءلت أم هاشم، هل هذا السؤال بحاجة للتفكير؟ ثم قالت:

- "بتفكري يا شفيقة بتفكري؟!".

أسرعت عينا شفيقة تبحثان عن خطة تخرجها من هذا المأزق: غمزة شمال... غمزتين يمين...

- "بتخططي يا شفيقة، بتخططي؟!".

شفيقة لا تجد الجواب ولا بد من التكتيك:

غمزتين شمال ...غمزتين يمين...

هنا شعرت أم هاشم بأن مصيبة ما قد وقعت لتدفع ابنتها إلى غمز التكتيك، فقالت:

- "بتكتكي يا شفيقة، بتكتكي؟!".

وعلى الفور شدتها من شعرها وأخضعتها لتحقيق قاسٍ لعلها تكتشف السر وراء التكتيك والتأخير والعلامات التي زيّنت عنقها. لم تتمكن من أن تنتزع منها اعترافاً إلا بعد عناء استمر ثلاث دقائق ونصف الدقيقة حين انهارت شفيقة، لتعترف بأنها كانت برفقة حصان، فزاد جوابها الأم حيرةً، فقالت:

- "حصان شو هذا اللي معضعضك!!؟ يا هبلة!!؟"

سبّلت شفيقة عينيها وتنهدت ولفظت الأحرف بغنج ودلع:

- "حصان أبيض حلو بيجنن يمااااااا".

تحتار الأم فيما يحدث أمامها، تفكير تخطيط تكتيك غنج دلع... في أقل من ساعة، وتسألها:

- "على شو ركبتي يا شفيقة؟".

شفيقة لا تجيد امتطاء الكذب، وما حدث بين الزيتون يصعب شرحه، فتطرق رأسها حياءً ولا تجد سوى الصمت ملاذاً، أم هاشم تربط الغمزات بعضها ببعض ويراودها إحساس بأن أمراً جللاً قد وقع... فتخضعها للتحقيق من جديد. تقاوم شفيقة دقيقة ونصف الدقيقة قبل أن تنهار وتعترف بما كان بين أشجار الزيتون. صرخة مدوية كادت تهز البلاد وتوقظ العباد، لو لم تخنقها أم هاشم قبل أن تصل حنجرتها؛ حتى لا تثير جلبةً وفضيحةً هي في غنى عنها. أخذت تدعو الله ألا يكون الأمر قد تعدّى القبلات وبعض العضات... فسألتها للتأكد من حجم الأضرار، متضرعة للواحد الأحد ألا تسمع من شفيقة إلا "لا النافية"، وليت كل ما تتمناه أم هاشم تدركه، سألتها:

– هل حدث بينكما ما هو أكثر من الغمز والعناق والقبل والعض...؟

وقبل أن تجيبها شفيقة بعكس ما تشتهي أن تسمع، كان عليها أن تفكر. غمزة شمال غمزة يمين

– "آه آه آه يماااااااه".

– "متأكدة يا شفيقة. متأكدة ؟؟!".

ومثل هذا السؤال بحاجة إلى تفكير عميق والكثير من الغمزات قبل الإجابة عنه:

- "آه آه آه يمااااا... متأكدة".

أم هاشم، ما عادت تشك في أن الخميس قد دخل الجمعة، خاصة أن أجوبة ابنتها لم تكن عفوية، وإنما جاءت بعد غمز عميق. مع هذا أرادت أن تتأكد أكثر، لعل وعسى أن تنطق ابنتها بـ "لا" واحدة بعد كل الـ "آه آه":

- "متأكدة يا شفيقة، متأكدة ؟؟".

ولم يكن في جعبة شفيقة سوى غمزة شمال غمزة يمين و"آه آه آه..." والأم من هول الصدمة أخذت تضحك. شر البلية ما يضحك، وعندما أدركت أن هذه المشاعر لا تلائم الوضع القائم، أطلقت صرخة مدوية اهتزت من هولها جدران المنزل، وتردد صداها في أرجاء بلدة التلة:

- "فضحتينااااااااااااااا...".

أخذت تلطم وتنوح من هول الـ "آه آه..."، شدت شعرها وصفعتها على خديها، وحيث وصلت الأسنان عضت، وبعد أن أُرهقت من الصفع والعض، عادت لتحقق معها من جديد، للكشف عن الإرهابي الذي

أخذ ابنتها على غفلة منها، لعل وعسى تجد حلاً ما يجنبها الفضيحة، فتحت ذراعيها وأخذت تتمتم:

- "يا رب يا رحيم، ألهِم شفيقة ابنة أبو هاشم أن تجيب بـ نعم نعم نعم آه آه آه وألا يتلفظ لسانها بـ لا واحدة!".

ثم سألتها عن وصفه، اسمه، عائلته، والدته، والده، أخته، وعمه من أي بلاد هو، فغمزت شفيقة وأجابت:

- "لا لا لا لا ... لا أعرف عنه شيئاً".

سألتها:

- "لا بد أنك التقيت به أو رأيته قبل اليوم... صح... يا شفيقة؟".

أخذت شفيقة تفكر:

غمزة شمال... غمزة يمين...

ثم أجابت:

- "لا لا لا، مش صح يمااااه".

لطمت أم هاشم وناحت:

- "فضحتينا بالـ "آه آه آه... وما سترتي علينا بـ لا لا لا... الله لا يوفقك! شو بتعرفي طيب؟".

- "الحصان يمااا...".

عضّت أم هاشم أصابعها، وأرهفت سمعها لتتصيد أي حرف قد يمر سريعاً ومن خلاله قد تستدل على الجاني، طلبت منها أن تصف الحصان لعل وعسى أن تمتطي وصفها له لتصل لصاحبه.

خفق قلب شفيقة ودق، وذابت وهي تصف أدق تفاصيل الحصان، كعينيه الواسعتين ولونه الأبيض وذيله الحريري، لم تتوقف عن الصهيل إلا بعد أن صفعتها أم هاشم.



البحث عن الحصان الأبيض

اجتمعت أم هاشم ببغلها أبو هاشم وانطلقا معاً في رحلة البحث عن الأبيض وصاحبه، وسرعان ما خاب أملهما حين اكتشفا أن لا وجود لمثل هذا الحصان في بلدة التلة ولا في القرى المجاورة. مرت أسابيع سوداء عليهما، ومع كل إشراقة شمس تصفع أم هاشم شفيقة وتعضها لعلها تتذكر أي شيء غير الحصان وذيله، فلم تسمع منها إلا الصهيل، وقالت لها:

- "حبك للخيل فضحنا... اغمزي بعينيك... حاولي تتذكري... إشارة علامة ... كلمة... حرف... اسم...!".

شفيقة تفكر:

- غمزة شمال... غمزة يمين...
- "اسم آه اسم! بعرف اسم الحصان يمااااا!!!".

لا يغيظ أم هاشم أمر أكثر من ذكر حصان أو حمار أمامها، فصفعتها وبعد ذلك سألتها:

- "شو اسم الحصان يا شفيقة؟"

صهلت شفيقة:

- "اسمه نخري ابن عبود شيخ شيوخ العرب ... يماااا!".

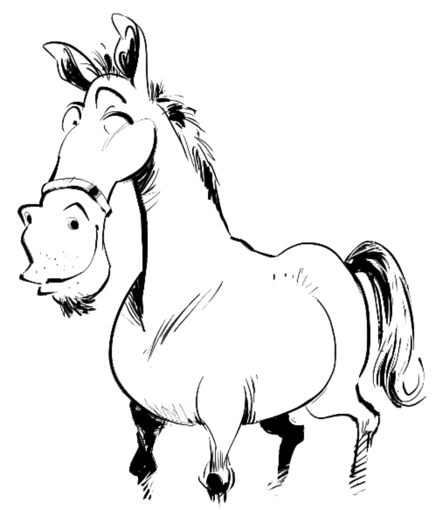
صهيل شفيقة بالاسم أطرب الأم وأبهجها فأخذت تنادي!

- "تعال يا أبو هاشم، تعال! البني والأبيض بغل نخري ابن الشيخ عبود".

وبعفوية أخذت ترقص وتغني:

- "أبيض وبني... أبيض وبني... يا أبو هاشم أبيض وبني...
ارقص وغنِّ... ارقص وغنِّ... يا أبو هاشم ارقص وغنِّ...".

لامت نفسها لأنها لم تسأل عن اسم الحصان من البداية، اطمأن قلبها إلى أن الجاني ابن رجل إصلاح تقي وورع؛ ولن يتهاون أو يتستر على جريمة ابنه.



غمزة وقبلة وزواج

ما كان الشيخ عبود بحاجة إلى أن يتفحص ويتمحص، وهو العالم بأخلاق ابنه، وعلى الفور استدعاه وسأله عن الجريمة التي اقترفها مع شفيقة ابنة أبو هاشم، مختتماً سؤاله قائلاً:

- "الله لا يوفقك!"

رد عليه نخري وصوته يدل على صدق:

- "ومن تكون هذه الشفيقة يا شيخ؟".
- "شفيقة والزيتون في أرض أبو زعطوطة يا نخري؟".

ما قاله الشيخ أنعش ذاكرة نخري، وذكّره بدق الزيتون، فأجاب دون مبالاة:

- "الله يخزيك يا شيطان! غمزتني وغمزتها فقط يا شيخ!".
- "غمزة فقط يا نخري؟".
- "غمزة وقبلة فقط يا شيخ!".

- "معك حق! أمك أنجبتك من قبلة وأنجبت أختك من غمزة فقط، وفي الأسبوع القادم ستتزوجها واغمزها كما تشاء".

حينما حاول فخري العاشق لسلمى الأحمدي الاعتراض على زواجه من شفيقة، رد عليه عبود بحزم وصرامة وأصالة شيوخ العرب قبل أن ينقرضوا:

- "بنات الناس مش لعبة!".

أقيم الزفاف بهدوء وكأن حملاً لم يكن، لم يعرف حقيقة أن فخري عشق التفاح وشفيقة عشقت البغل سوى 10 ... 20 ... 30... 70... 90 ومعهم نصف بلدة التلة فقط.

المعجزة حدثت لاحقاً، شفيقة عشقت فخري أكثر من أي بغل وحصان، وفخري وجد فيها الزوجة الهبلة التي تصدق كل ما يقال. وبعد مرور عدة أشهر من زفاف العاشقين، يقال إنها سبعة والبعض يدعي أنها ستة فقط، أنجبت شفيقة ابنها البكر، ومع مولده انشغل أهل بلدة التلة بدراسة علم الفلك والرياضيات وقليل من الكيمياء لتحديد إن كان المولود سداسياً أم سباعياً، ولحسم الجدل تم الإعلان رسمياً أنه سباعي "ابن سبعة أشهر"، وحين اعترض البعض وحاولوا أن يصطادوا في مياه

الأيام العكرة بعد حساب الأشهر من الزواج للولادة، لإثبات نظرية الحبل السداسي ودحض السباعي، كان لا بد من تدخل أنصار الميتافيزيقيا لحسم الجدل حول الشهر المفقود، فأعلنوا أن الوليد (سداسباعي) معجزة بلدة التلة.



سراس حفير الشيخ عبود

ما قيل ويقال وسيقال لم يزعج نخري، فقد فرح بابنه البكر وقرر أن يجد له اسماً يليق به، فطلب من شفيقة بصفتها الأم، أن تشاركه الاختيار، شريطة ألا تختار اسماً تمَّت تسميته لأحد من قبل، فهذا الولد ابن نخري عبود، ولا يجوز أن يُسمّى على اسم سبقه إليه أحد... فكرت شفيقة: غمزة يمين... غمزة شمال...

- "ما رأيك حبيبي أن نطلق عليه اسم زيتون ليكون مباركاً؟".

امتعض وعصر عينيه حتى كاد الزيت يسيل وقال:

- "لا داعي لتذكيري بتلك الليلة اللزجة... يلعن أبوه اللي دق الزيتون".

غمزة شمال... غمزة يمين... ثم قالت:

- "إذاً لنطلق عليه اسم قمر أو حصان!".

ضرب الأرض بحوافره وشع الغضب من عينيه وصهل:

- "أنا نخري ابن الشيخ عبود، وهل يليق بي أن ينادي عليّ الناس أبو قمر!؟".

فشلت الغمزات في إيجاد الاسم المناسب، وعليه قرر نخري المعجب بابنه قليلاً وبنفسه كثيراً، أن يختصر الطريق ويسمي ابنه "أبو نخري" دون أي مقدمات أو إضافات... فأخذ الناس بمناداة الأب نخري بـ "أبو أبو نخري". وأقسمت شفيقة أن ابنها أبو نخري ارتسمت على شفتيه ابتسامة حماسية يوم مولده، في عامه الأول نادى عليها "يمااااه"، وفي الثاني نطق "يابااه" وأكل دجاجة، وقال "اعملي شاي يا شفيقة"!

أما الأب نخري المزهو بريشه وألوانه، فقد جد أن الاسم الذي اختاره لابنه أوقع الناس في تأتأة ولعثمة كانوا في غنى عنها، فحين شق عليهم ضبط إيقاع أبو أبو نخري اضطروا للمناداة عليه بأبو سداس اختصاراً لتعقيدات أبو أبو، وماذا يمكن أن يفعل أبو أبو نخري ليتخلص من هذا الموقف ولا يحرم من سماع تكرار اسمه... لقد لجأ إلى غمزات زوجته المفكرة أم التكاتيك ليفضفض لها عن الهم الذي اعتراه، وهو على يقين بأن غمزاتها لن توصله إلى أي مكان، قال لها:

- "أنا في ورطة يا شفيقة، أبو نخري الصغير بلغ من العمر خمسة أعوام والناس لا يروق لها أن تناديني (أبو أبو نخري)".

وبغنج وتسبيل عينين ردت عليه:

- "اسم حلو أبو أبو أبو أبو نخري يا نخوري".

هز نخوري رأسه باستياء قال:

- "هنا تكمن المشكلة، لا أحد يستطيع الفرملة بعد أبو أبو، ويجب أن أجد حلاً قبل أن يلتصق بي اسم أبو سداس".

أمام هذه المعضلة كان على شفيقة أن تفكر وتتكتك، غمزة شمال... غمزتين يمين... ثم قالت:

- "اطلب من الناس أن ينادوا عليك بالحاج أبو أبو أبو أبوووووو".

أسرع نخري وفرملها قبل أن تصطدم به وقرر أن يقود فكرتها ويطلق على نفسه اسم الحاج، فتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ليعود باللقب، وغسل ما تأخر من ذنوبه، وأخذها معه لتعود بلقب الحاجة زوجة الحاج وكان له ما أراد.

في الماضي قبل أن يؤدي نخري فريضة الحج كان الناس يتلاسنون عليه "هذا الفخري حقير كذاب حرامي..." ولكن سبحان مغير الأحوال بعد أن هداه الله وزار بيت الله الحرام وأدى فريضة الحج كان لا بد للناس من أخذ هذا التطور بعين الاعتبار، فتلاسنوا عليه "الحااااج نخري حرامي كذاب حقير...!".

أما الطفل السداسي المعجزة، فما عاد أحد ليكترث إن كان ابن سبعة أم ستة، وأصرُّوا على مناداته باسم (سْدَّاس) وكبر أبو نخري سداس، وكان

مزيجاً غريباً عجيباً من كل شيء، احتار الناس في أمره، غبي جداً وذكي جداً، مزيج لم يتكرر عبر التاريخ، أغبى من سداس... وأخبث من سداس...!

تمتع بالكثير من المواهب، شاعر وكاتب وعازف وملحن، وتفوق على والده بالحقارة، بل وسبقه بأميال، وشيخ العرب عبود كان ذا سطوة وقدرة على لجم وتقليم مخالب جميع أبنائه وأحفاده، وما كان ليجرؤ أن يعصي أحدهم له أمراً، إلا سداس، ما كان لأحدٍ قدرة على التنبؤ بتصرفاته، أو لجمه إلا بمزاجه، وحسب أحوال الطقس ذلك اليوم، ماطر دهاءً وذكاءً أم عاصف عناداً وغباءً!

حينما بلغ سداس التاسعة من عمره، حصل بجدارة على لقب بغل، إن هاج رفس، ورفساته قلما أخطأت أهدافها، تصيب ولا تخيب، وتلقي بالمرفوس في أحضان شيخ شيوخ العرب عبود، القاضي ورجل الإصلاح، الذي ما كان ليقبل أن يعتدي حفيده على الناس دون وجه حق. ومن غيره سيدفع ثمن رفسات سداس وغبائه، بعد أن أمسى الجميع يخشاه ويتحاشاه على الرغم من صغر سنه.

عبود ورب المعبود يخلصني من سراس ومشاكله

علاقة الفتى سداس مع والده الحاج نخري خلت من الود والمحبة، وقلما اتفقا، أما علاقته بجده الشيخ عبود فقد كانت أغرب ما يكون، لا يقسم سداس إلا بحياة الشيخ، ولا يعرف عن نفسه إلا بحفيد الشيخ، وحبه وتعلقه بجده تجاوز حدود العشق والهوس، حتى وصف عبود حفيده سداس وقال:

- "هذا غضب من الرب! هذا الولد لعنة حلّت علي! يلعن أبو اليوم اللي زوجت نخري من شفيقة!!".

لم تجدِ كل المحاولات لردع سداس عن ملاحقة جده في كل مكان، واقتحامه مجلسه وإحراجه أمام ضيوفه نفعاً. لم يكن سداس ليكتفي بالجلوس إلى جانبه، بل كان يقاطع الجميع ويبدي رأيه بما يدور وهو على قناعة بأن حفيد الشيخ شيخ، وذات يوم، فرض الفتى سداس نفسه ورافق وفداً يترأسه عبود لأخذ هدنة من عائلة قُتل ابنها، ونجح الوفد بتهدئة النفوس والفوز بموافقة عائلة المغدور على الهدنة، والشيخ سداس الصغير الفصيح لا بد أن يكون له رأي، فوقف مخاطباً أهل القتيل وقال قوله السداسي الشهير:

- "كِيك كِيك ما فيكم ديك".

كلمات ركيكة قالها ولد جاهل تناقلتها الألسن بسرعة الضوء وتردد صداها حتى إنها أصبحت مثلاً للجبناء الذين تنازلوا عن الأخذ بالثأر، والـ "كيك كيك" السداسية ألهبت النار في قلوب الكبار قبل الصغار ونسفت جهود الإصلاح، وكانت الشعرة التي قصمت ظهر الشيخ عبود، فضربه ضرباً مبرحاً!

علق سداس:

- "ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب".



قاضي الأولاد شنق حاله

لم يتوقف شيخ العرب الصغير عن مطاردة جده أينما ذهب، وما كان أمام الشيخ إلا أهون الشرور، وهو أن يعتزل المشيخة ويحتجب، لعلّ حفيده يمل منه ويتركه في حاله، لكن سداس يمل من العالم كلِّهِ إلا من حبيبه وقدوته ومثله الأعلى.

مر أسبوع وعبود لا يخرج من البيت، أحزن هذا سداس، واعتقد أن المشاكل قد انتهت، ولم يعد للناس حاجة بجده، فأخذ يقوم بجولات في التلة والقرى المجاورة، بحثاً عن أي مشكلة، وما كان ليجد صعوبة في ذلك، فهو حفيد الشيخ، ورسوله الذي يبلغ الناس باسمه ويطلب منهم الحضور إلى مجلسه. وشيخ شيوخ العرب ما كان ليردَّ من يصل عتبة بابه مع اعتياده عدم الانشغال إلا بما عجزت عنه الشيوخ، وفي أقل من أسبوع وجد أن سداس قد حول مجلس شيخ شيوخ العرب للفصل بين الأولاد... سرقة دجاجة، أرنب، صوص، سلحفاة، أو كلب أجرب يدّعي أحد الأولاد سرقته من آخر... وفي محاولة منه لإقناع سداس بأنه شيخ كبير ولا يجوز أن يشغل مجلسه بالفصل بين الأولاد قال له:

- "قاضي الأولاد شنق حاله يا سداس"

فرد عليه المثل بمثل:

- "على قد فراشك مد رجليك يا جدي".

ثم اقترح عليه أن يقتل أحداً ليشغله بقضية تليق بمستواه، فارتعد عبود من الفكرة، ووجد أنه من الأسلم الاستمرار في استقبال الأولاد في مجلسه.

لم يكن هناك داع ليقتل سداس أحداً لإشغال جده؛ ففي بلاد العرب لا يخلو أسبوع من قاتل ومقتول، ووصل عبود أن شيوخ العرب قررت أن تجتمع عنده لأمر مهم، فلم يشغل باله سوى البحث عن طريقة لإبعاد سداس عن مجلسه والتلة، بالحيلة أو القوة.

استحضر دهاء الشيوخ، لعله يجد حلاً يبعده عن طريقه ليوم أو ساعات حتى ينفض اجتماع الشيوخ، فجالسه وأخذ يروي له حكاية عن بلاد بعيدة، كل من سافر إليها عاد "شيخ عرب".

راقت الفكرة للشيخ الصغير، فسأل جده إن كان قد زارها بنفسه، فأجابه مسرعاً ليعجّل رحيله:

- "نعم نعم، وأنا صغير، فور أن سمعت بها سافرت إليها وعدت منها (شيخ عرب)".

فرك سداس عينيه وغرق في الحيرة، ثم أخبر جده أنه راغب بالسفر إلى بلاد الشيوخ، ولكنه يشعر بالمسؤولية تجاه أولاد المدرسة والحارة، ومن سيصلح بينهم في غيابه، وهنا قال عبود:

- "سافر أنت فوراً واترك مشاكل الأولاد! وأعِدك بأني سأتولاها في غيابك!".

وفي محاولة للتهرب من السفر حتى لا يفارق جده، قال:

- "أنا صغير يا جدي، ولا أعرف أين تقع هذه البلاد".
- "اخرج من الباب، وامشِ بخط مستقيم ولا تتوقف، وستصل إليها".

وهنا شعر بأن لا مفر أمامه، وأن عليه السفر؛ حتى لا يخيب أمل جده فيه، وقال:

- "لا أملك نقوداً لأسافر إلى بلاد الشيوخ هذه".
- "أنا سأعطيك من المال ما يكفيك للسفر".
- "إذاً أعطِني نقوداً ومسبحتك الفضية لأسبح وأدعو لك في طريق السفر يا جدي!".
- "خذ ما تريد وسافر بسرعة!".
- "وما اسم هذه البلاد يا جدي؟".

- "اسمها الصين، الهند، مالطا! لا يهم ما اسمها، فقط سافِر!".

وما كان سداس ليتوانى عن القيام برحلة صغيرة من أجل أن يعود شيخاً كبيراً، فأخذ من جده النقود ومسبحته الفضية، وغادر على عجل، كي لا يهدر الوقت في طريقه المستقيم إلى الصين.

خرج سداس من بيت جده وسار بخط مستقيم وبعد مرور ربع ساعة أدرك أن الصين بعيدة قليلاً، فعاد إلى جده وقال:

- "يا جدي، الصين بعيدة، أعطِني حصانك ليحملني إليها وسأعيده لك حينما أعود من بلاد الشيوخ".

فكر الشيخ وكاد يتهور ويعطيه ما طلب، ولكن قلبه رق وأطلت دموع من عينيه وهو ينظر إلى الحصان، خشية أن يقع مكروه له - لا لحفيده - نصحه باستعارة حمارٍ من عمه فلاح.

أخذ سداس الحمار وسار ساعة كاملة بخط مستقيم، ولم يتوقع أن تكون الصين بعيدة كل هذا البعد، فقرر العودة إلى المنزل، على نية أن يستيقظ باكراً ويشد الرحال إلى الصين، ويعود منها قبل الغروب... وحين استيقظ في الصباح قرر تأجيل سفره إلى يوم الجمعة، حتى لا يضطر إلى أن يترك المدرسة، خاصة أن الأستاذ قد نصّبه عريفاً على الصف، مسؤولاً عن النظام، وفي غيابه قد تغلق المدرسة أبوابها!

وهكذا عاد من جديد لإزعاج جده عبود... وحين طالبه بإعادة مسبحته الفضية، وما أخذه من نقود، رفض أن يعيد حتى الحمار الذي استعاره متسلحاً بمنطقه السداسي، بأن كل ما يحصل عليه هو ملكه، ومر عام وبضعه شهور قبل أن يعلن شيخ شيوخ العرب عبود الاستسلام، وأن الحكمة والصبر لن يجدياً نفعاً وحان الوقت التهور والإجرام.

اجتمع بابنه سراً للتباحث والتشاور في خطة للخلاص منه مرة واحدة وللأبد. همس الحاج نخري في أذن الشيخ واقترح أن يتم قتله ودفنه سراً. عبود راقت له الفكرة ووجد فيها الحل، ولكنه رفض أن يعطي الإذن لارتكاب مثل هذه الجريمة... واقترح أن يتم أخذه لبلاد بعيدة وتركه هناك يواجه مصيره وقدره، وهذا الحل أهون من ارتكاب إثم القتل.

راقت الفكرة للحاج نخري وكلف صديقه؛ تاجر القهوة مطاوع أبو مصباح أن يصحب سداس معه إلى البرازيل ويعود من دونه، وتم تزوير الوثائق لهذه الغاية، ولم يبقَ سوى إقناع الشيخ الصغير بالتغيب عن الدراسة مدة أسبوع، خاصة في ظل شعوره بالمسؤولية اتجاه المدرسة التي ستدب فيها الفوضى وتغلق أبوابها إن تغيب يوماً واحداً، فهو المدير ونائب المدير والأستاذ والحارس.

لم يبتسم الحظ لإدارة المدرسة ولم يغادرها الشيخ الصغير، ولو حدث ذلك لأعلنت عن احتفالات لسبعة أيام لمناسبة الخلاص. لذا كان لا بد من انتظار حلول العطلة الصيفية التي يحبها جميع الطلاب، ويكرهها سداس، وبالحيلة والخداع تم إقناعه بمرافقة أبو مصباح في رحلته؛ ليساعده ويحرس البضائع التي سيجلبها معه، مقابل أجر كبير سيمكنه من شراء حصان شبيه بما يمتطيه جده عبود.

الطريق إلى البرازيل

رافق سداس مطاوع الخبيث في رحلته التجارية إلى البرازيل وهو يجهل نيته العودة من دونه! في بداية الرحلة من القرية إلى المدينة استمتع التاجر برفقة الشاعر الصغير خفيف الظل، وأمثاله وحكمه السداسية، حتى إنه شعر بوخز الضمير للجريمة التي سيرتكبها بحق هذا الولد المهذب الظريف، الذي لا يخاطبه إلا بـ"عمي أبو مصباح"، وفي الطريق إلى الحدود انتهى سداس من الشعر والنثر وحان وقت التعارف، فمال على أذن أبي مصباح وسأله:

- "شو اسم أمك يا مطاوع؟؟"

لم يرق للتاجر مخاطبة سداس له دون ألقاب، لكنه أجابه بأن اسم أمه رحمة.

- "وكيف حبلت رحمة فيك يا مطاوع؟"

ضحك مطاوع من هذا السؤال الطفولي البريء، ولكنه أجابه بأنه حين يكبر سيكتشف الأمر بنفسه، ثم أمسك سداس قلماً بين أصابعه وقربه من فمه متظاهرا بأنه يدخن سيجارة، وسأل:

- "ابنك مصباح طويل أم قصير يا مطاوع؟".

فأجابه بأنه أطول منه بكثير واستفسر عن حاجته لمعرفة طول ابنه، فرد عليه:

- "جدي شيخ العرب، قال (اعرف طول عدوك تسلم شره). والمثل يقول (الطول نخلة والعقل سخلة)!"

صمت مطاوع ولم يصمت سداس:

- "ممكن أسألك يا مطاوع، أنت حرامي ونصاب مثل أبوي ولا أكثر منه؟؟ لأن المثل يقول: قل لي من تصاحب أقل لك إنك نذل وخسيس وابن حرام....!".

ابتسم مطاوع لظرافة هذا الولد، وفكر أنه من الأسلم أن يوقف الحافلة ويعيده إلى أهله، خاصة أن كلماته ونظراته لا تبشر بخير. وتابع سداس قائلاً:

- "أنا أخشى يا مطاوع أن تكون لصاً خسيساً مثل والدي وألا تدفع لي الأجرة المتفق عليها، وحينها سأنتقم من ابنك مصباح، وبما أنني عرفت سلفاً أنه أطول مني فلن يكون سهلاً عليّ بطحه وضربه، لذا سأضطر لقلع عينه بحجر، فما رأيك أن تعطيني نصف الأجرة سلفاً والنصف الثاني حينما نعود؟ والمثل يقول "حمار باليد أفضل من حصان على الشجرة".

مطاوع كتم غيظه وفي سره قال:

- "سألقيك في أول حاوية قمامة بعد أن نتجاوز الحدود!

ثم ربت على كتفه وقال له:

- "سأدفع لك ما تريد! إن الله مع الصابرين".

لم يتوقف سداس عن الثرثرة، ومطاوع أصابه الصداع، ولعن اليوم الذي وافق فيه على اصطحابه، وحين اقتربت الحافلة من الحدود قال له:

- "حينما يسألك الشرطي عن اسمك، أخبره أنك ابني واسمك مصباح، اتفقنا؟".

رد عليه:

- لم نتفق يا مطاوع، لأن جدي عبود شيخ شيوخ العرب علمني ألا أكذب، والمثل يقول (حبل الكذب لا يشتري حماراً!)

ولكن إن أردت أن أكذب لا بد أن تزيد لي الأجرة حتى أتمكن من شراء حصان".

لم يجد ضرراً من مجاراته، وبعد الحدود لكل حادث حديث، فقال:

- "سأزيد أجرتك بعد وصولنا البرازيل، توكل على اللّٰه!".

وصلت الحافلة، وترجل الركاب واصطفوا حاملين وثائقهم وحقائب السفر للتفتيش، والأسئلة الروتينية كل في دوره، ولكن سداس ألقى الحقيبة على الأرض وتصنم مكانه رافضاً أن يتحرك، إلى أنْ دفع له نصف الأجرة المتفق عليها، وما كان أمام مطاوع من خيار إلا أن يدفع له؛ اختصاراً لشبهات هو في غنىً عنها. لم يكتفِ سداس بما أعطاه، بل أخذ يركل الحقيبة بقدمه ويصرخ بأعلى صوته:

- "ادفع يا مطاوع! ادفع الزيادة مقابل الكذب! ادفعها قبل أن أكذب وأدعي أني ابنك! وإن لم تدفع لن أكذب، والمثل يقول (ادفع للكذاب أجره قبل أن يجف كذبه!)".

مطاوع أدرك أنّه إنْ لم يمتثل لمطالب سداس فستنتهي رحلته إلى السجن لا محالة! فأطاعه وأعطاه القليل من النقود، ولكن سداس لم يعجبه المبلغ، فالكذب يجب أنْ تكون أجرته أضعاف أضعاف أجرة العمل المتفق عليه، فأخذ يصرخ بأعلى صوته:

- "أنت لص مثل والدي يا مطاوع! وهذه ليست الزيادة المتفق عليها! أنا حفيد عبود شيخ شيوخ العرب، وسأقاضيك! والآن أطالبك بأن تحضر أحد رجال الشرطة ليحكم بيننا بالحق، ويكتب بيننا اتفاقية يوقع عليها ثلاثة شهود، وجدي شيخ العرب يقول: (تكاتبوا) يعني اكتبوا ورقة".

مطاوع يلقي بكل ما يحمله معه من نقود لتجارته بين يدي سداس ويهمس بأذنه:

- "أتوسل إليك، خذ كل النقود ولا ترفع صوتك، نحن على الحدود وسأدخل السجن بسببك".

أمسك سداس بالنقود، وأخذ يحشوها في جيوبه حتى انتفخت، ثم قال:

- "والآن يجب أن نحضر شرطياً ليكتب بيننا اتفاقية بالنصف الثاني للأجرة، حتى لا تخدعني يا مطاوع الحرامي، وجدي شيخ العرب يقول الـ...".

قاطعه مطاوع بعد أن فقد أعصابه وأخذ يصرخ:

- "يلعن أبوك وأبو شيخ العرب معك!".

أدار ظهره وهرول هارباً قبل أن ينتهي الشرطي من فحص المسافر الذي يسبقه، وحمل سداس الحقيبة وأخذ يركض خلفه وينادي:

- "وين رايح وتاركني يا مطاوع يا ابن رحمة؟"

رد عليه دون أن يلتفت:

- "روح انقلع! يلعن أبوك وجدك شيخ العرب معه".

وبعد لهاث أفلت من مطاردة سداس، وبعد أن عاد إلى رشده، وجد أنّه لم يتبقَ معه حتى أجرة الطريق للعودة إلى بيته، لذا انتظر طويلاً حتى وجد من يقله، وفور وصوله بحث عن الحاج نخري، وحين رآه طالبه بالنقود التي استولى عليها ابنه سداس، واختتم حديثه بالقول:

- "عليّ الطلاق من أم مصباح لن أسكن بلداً فيها سداس حفيد شيخ العرب".

أما سداس فقد تدبر أمره، وحين وصل التلة أخفى المبلغ الكبير الذي كسبه بعرق جبينه.

استسلم الجميع للأمر الواقع (سداس غَضَبٌ من الرب) فاتخذ الشيخ عبود قرارات صارمة منع بموجبها حفيده من الوصول إلى مجلسه، وأدّى ذلك إلى ردات فعل انتقامية ضد كل من ساهم أو ساعد في منعه من لقاء الحبيب... اختفت الحمير واحترقت الدجاجات وتضررت المركبات.

وصل الجميع إلى نتيجة أن العنف لن يردع البغل سداس، ولم يبقَ أمامهم سوى التفاوض على أقل الخسائر، فاضطر الشيخ إلى التعايش مع حفيده

عدة سنوات حتى أقعده المرض، وعلم أن أيامه باتت معدودة، ودعا الله أن يقضي ما تبقى له من أيام في هدوء دون أن ينغص عيشته أي طارئ أو سداس، وأوصى كل من حوله أن يمنعوه من زيارته، أو الاقتراب منه حتى يقبض عزرائيل روحه.

لكن من سيواجه المنطق السداسي بعد أن اشتد عوده، وطالت قامته، ورسم تحت أنفه خطاً رفيعاً يشير إلى الثالثة عشرة من عمره، ورفساته فتاكة لا ترحم، وغباؤه تجذّر وامتزج بالعناد والغضب السريع، وأبدع العزف على العود ونظم الشعر، واقتبس عنه المتنبي وامرؤ القيس، ويتذكر الجميع قوله السداسي المشهور:

- "من سيلعب بالنار ستحترق شجراته ونعجاته وحماره".

وبلاغته بالفعل والنار لا بالكلمات، واتفقوا جميعاً أن الركاكة في التعامل معه أسلم!

أنقذني يا عزرائيل

لم تكن زياراته لجده مرة في الأسبوع أو اليوم، بل كانت على مدار الساعة، علاوة على النوم بجانبه أحياناً. مُكرهاً لا راغباً كان عبود يستمع إلى قصص (الشيخ سداس) وقضاياه بالفصل والحكم بين الأولاد، وما إن ينتهي حتى يبدأ بالشعر والنثر، وشيخ العرب المغلوب على أمره يتوسل وينوح:

– "أرجوك يا سداس، أنا مريض وأحتاج للنوم والراحة".

فيرد عليه بمنطقه السداسي:

– "لماذا لا تنام يا جدي خلال النهار حين أكون في المدرسة؟!".

اجتمع المرض وسداس على الشيخ، ولم يعد يقوى على الكلام أو الحراك، وبدأ العد التنازلي في انتظار عزرائيل ليأتي وينقذه من حفيده الذي قرر أن يعلّق كل نشاطاته في القضاء، والشعر، والموسيقى، وسباق الحمير، وضرب الأولاد، ليتفرغ للحبيب الغالي في أيامه الأخيرة. تأخر يوماً عن زيارته فاعتذر قائلاً:

- حقك علي يا جدي، لقد تأخرت عن زيارتك، لانشغالي بالمشاركة في جنازة أبو وهيب السمين، وأخيراً مات وسيأكل الدود عظامه، والمثل يقول (نار الهنود أرحم من أكل الدود).

وعبود ليس بحاجة لمن يذكره بأن الدود في انتظاره، فأخذ يردد بسره:

- "اللهم إني لا أسألك رد القضاء، وإنما أسألك اللطف فيه! يا رحمن يا رحيم، ارحم ضعفي وعجزي وخلصني من سداس!".

تربع سداس وشمر عن ساقيه وقال:

- "لو تعرف يا جدي، كم كنت قلقاً أن تموت وأنا لست بقربك!".

الشيخ يردد:

- "لا حول ولا قوة إلا بالله!".

وسداس يتابع حديثه:

- "عيناك يا جدي اصفّر لونهما، وأشك في أنك ستصاب بالعمى مع نهاية هذا الأسبوع".

الشيخ بسره يتضرع إلى الله:

- "يا رب، ترى ضعفي وقلة حيلتي، فإني ضعيف ذليل متضرع إليك، مستجير بك، خلصني من هذا البلاء المتربع أمامي!".

سداس يحك رأسه ويسأل جده إن كان بإمكانه رؤية عزرائيل حينما يأتي لقبض روحه، والشيخ في سره يدعو:

- "اللهم يا شاهد، اجعل لي في أمري هذا فرجاً ومخرجاً".

ويروي سداس لجده أن رزق أخبره أنه رأى أفعى تختبئ داخل القبر الذي أعدوه ليدفن فيه فور موته، فيتمتم الشيخ:

- "اللهم اجعل لي سوراً من لطفك يحول بيني وبين هذا الولد اللعين!".

- "اطمئن يا جدي، سأفتش قبرك قبل دفنك فيه!".

عبود استفزه ما سمعه، ولكنه لا يقوى على الصراخ، وبسره يقول:

- "الله يلعن أبوك وأبو أبوك وأبو رزق معك".

سداس يحك رأسه ويفكر ويسأل جده:

- "هل تعرف الإجابة عن الأسئلة التي سيسألونك عنها في القبر؟ إذا أخطأت في جواب سيعذبونك عذاباً تهتز لهوله الجبال، ناكر ونكير لا يرحمان من يرسب بالامتحان يا جدي...".

- "إنا لله وإنا إليه راجعون! يلعن أمك واللي زوج أمك لأبوك".

- "لا تخف يا جدي، سأعلمك كيف تجيب عن أسئلتهم!".

وأخذ يشرح له عن عذاب القبر والأسئلة والأجوبة بطريقته السداسية، والشيخ تتقد عيناه غضباً، ويصرخ من أعماقه على من يأتي ليغيثه، ولكن لا صوت يخرج، وبالكاد اللسان يتحرك".

سداس ينتقل من موضوع إلى آخر، ويشرح له عن قرية اسمها مصر تسكنها قبيلة الفراعنة، وأنهم اخترعوا دواء يشربه الميت حتى لا يقربه الدود، وينصحه بأن يرسل من يأتي إليه بهذا الدواء بسرعة، فيتمتم الشيخ مرعوباً يائساً:

- "اللهم إنّي أسألك الصبر... أستغفر الله العظيم... أستغفر الله العظيم...".

سداس يفكر ويحسب الأيام:

- "لا تهتم يا جدي، بإذن الله الأسبوع القادم ستموت ومن لن يشارك في جنازتك سأحرق حماره!".

عبود يصرخ في أعماقه ويستغيث:

- "أين أنت يا عزرائيل!؟".

يشعر بالندم على عدم مجاراة ابنه فخري بقتله منذ زمن...

يقف سداس ينوي الرحيل قائلاً:

- "اعذرني يا جدي، يتوجب عليّ الذهاب لتناول الطعام ولن أتأخر، ولكن إن شعرت بأنك ستموت أرسل أحدهم لمناداتي سريعاً!".

عبود يشعر ببريق من الأمل بأنه سيبتعد عنه قليلاً، ولكن سداس يسير عدة خطوات ويعود لجده قائلاً:

- "لا يجوز أن أتركك يا جدي، سأذهب لإحضار الطعام وأتناوله هنا خشية أن تموت وأنا بعيد عنك".

يوماً بعد يوم يتكرر المشهد من جديد، وفي المرات التي يتمكن فيها عبود من نطق بضع كلمات، يرجو من حوله ويتوسل إليهم قائلاً:

- "أعطوه ما يريد! العباءة، السيف، البغل، البيت، الأرض، فقط أبعدوه عني! يا عالم خافوا الله! ارحموني!".

وأخيراً شاء الله أن يريح عبود، فأرسل إليه عزرائيل ليخلصه من سداس، الذي جلس بجانب قبره وبكاه وقال قوله السداسي المشهور:

- "أبناؤك القرود تركوك للدود... يا حبيبي يا عبود...
ليتني القبر الذي ضمك... والكفن الذي لفّك...
فداك أبي وأعمامي وزوجاتهم وأولادهم يا جدي...".

لم يمل من زيارة القبر وبكاء جده، ونظم الشعر السداسي، وقراءة أشعار المهلهل في رثاء كليب، وأقسم وتوعد أن يأخذ بثأر جده، ولم يكن من اليسير إقناعه بأنه ليس المهلهل وأن جده ليس كليباً، وألا ثأر أو دم في موته، ومرت الأيام ولم ينقطع عن زيارة قبر جده إلا في وقت المدرسة المقدسة والنوم الذي لا بد منه.

شفيقة اعتراها القلق من الحال الذي آل إليه ابنها، فأخذت تبحث عن طرق وخطط لمواساة ابنها، والتخفيف من أحزانه على فقدان شيخ العرب، وغمزة شمال... غمزة يمين... ذهبت إليه وقالت:

- "هذه سنة الحياة، الكل سيموت حتى والدك الحاج فخري العظيم سيموت يوماً ما".

يرد عليها سداس:

- "والدي لن يموت قريباً إلا إذا سقط عن البغل ودقت عنقه، ولكني على يقين بأن جدي أبو هاشم سيموت قبل نهاية العام، بإذن الله طبعاً، وأقترح عليك يا أمي أن تقنعيه بأن يهبك بيت التينة؛ حتى لا يستولي عليه أخوالي الأنذال".

أخذت شفيقة تستعيذ بالله من هذا الفأل، وتدعو لوالدها وزوجها بطول العمر.

ومرت السنين وشبَّ سداس ونبتت له لحية وشارب، ومات جده أبو هاشم وورثت شفيقة بيت التينة كما أراد، ولم يبقَ أمامه إلا أن تتنازل له عنه، وشفيقة كلما سألها تفكر، غمزة شمال... غمزة يمين... وتجيبه:

- "لا لا لا لا...".

فشل في إقناعها خاصة أنها قد خططت لترك حصتها لابنتها عفاف التي أنجبتها بعد حمل تسعة أشهر كاملة غير منقوصة، وقالت إنها أنجبتها بعد عشرة، وأيضاً لا تريد أن يغضب منها الكبير العظيم الحبيب الحكيم؛ زوجها الحاج نخري، الذي دأب على تحذيرها من مغبة الانسياق وراء المنطق السداسي الذي فاقه في الجشع، ولم يترك شيئاً دون الاستيلاء عليه.

البحث عن الأحفاد

توالت الأيام وشفيقة تعيش في سعادة وهناء مع ابنتها عفاف وابنها سداس وزوجها الذي لا تراه سوى مرة كل عام بسبب انشغاله في الصلاة والحج والعمرة... وتروي شفيقة أنه في العام الواحد يؤدي فريضة الحج خمس مرات! بما أن التجارة مباركة كان يتاجر قليلاً وتزيد أمواله كثيراً... فماذا ينقص أم التكاتيك لتكتمل سعادتها، غير الكثير من الأحفاد، نخري الصغير وإخوته، ومن سيأتي بهم سوى ابنها الذي يقف الصقر على شاربه، طويل القامة، عريض المنكبين، واسع الصدر، صاحب العضلات مفتولة، أسمر البشرة والعينين، يطلق لحيته أحياناً ويحلقها حسب شباط دماغه، يحكم وينهر، والأهم من ذلك كله أنه شاعر وحكيم، لم يكن وسيماً، ولكنه في عيني شفيقة كان غزالاً، ففكرت، غمزة شمال... غمزة يمين... ثم قالت:

- "ما رأيك يا سداس أن تكمل نصف دينك؟".

فأجابها:

- "أجّ مثل زوجك الحجّيج؟".

ردت عليه بأنه لا داعي للحج، فوالده أدى فريضة الحج عنه وعن كل أهل البلد، وإنما تقصد أن يتزوج ليفرح قلبها بفخري الصغير، فقال لها:

- "أنا لن أتزوج إلا على مزاجي! والزواج كالزجاج إن لم يكن بمزاج تكسّر".
- "على مزاجك يا حبيبي، كسّر على مزاجك!".
- "أنا مزاجي في العبيط، فقط العبيط يا حجة!".

ارتعبت شفيقة من فكرة زواج ابنها بالعبيط وقالت:

- "العبيط زلمة يماا! وعمرها ما صارت زلمة يتزوج زلمة".

تأفف وقال:

- "لا تخافي، لن أتزوج العبيط، سأتزوج أخته توتو".
- "توتو! مين هاي توتو؟!".

سألت وهي مشمئزة من نعومة الاسم الذي لا يليق بعضلات ابنها.

- "اسمها تحفة يماا، ودلعها توتو".

استعاذت شفيقة بالله من شؤم الأرامل وقالت:

- "هاي أرملة صح؟! زوجها مات صح؟"

رد عليها:

- "نعم هذا صحيح، توتو ترملت لأن زوجها مات، وكان كريماً بموته، وترك لها مالاً بعدد النبات، صفقة مربحة مريحة مليحة يا حجة شفيقة!".

تستحضر شفيقة في خيالها صورة للعروس وتقول:

- "تحفة أكبر منك بعشرة أو عشرين سنة، ويا رب لا تؤاخذني شكلها مثل القردة".

يستحضر مثلاً سداسياً ويرد عليها:

- "قردة ثرية خير من غزالة فقيرة يا حجة".

تستعرض شفيقة براعتها في حفظ الأمثال لتنافس ابنها وتقول:

- "يا من تزوج القرد على ماله؛ طار القرد وبقي المال على حاله".

وعاشق الأمثال ومخترعها يرد:

- "أبدعتي يا حجة شفيقة أبدعتي! وللتوضيح توتو... قردة وليست قرد! وبلاش تدخلي على خطي في الأمثال".
- "إن شالله عمرك لا تتزوج! صدق الحاج نخري، بطنك أجرب وعمرك ما راح تشبع، والمثل يقول الأجرب يحك وما بيشبع".

ودون غمز قررت شفيقة أن توضح له أنها صاحبة القرار، وأنها ستزوجه إحدى بنات أعمامه إن وافق أو لم يوافق، ضحك وهو أكثر من يعرف

أن والدته لا يسعدها يوماً أن يتزوج إحدى بنات أعمامه، وغمزها بطرف عينه وقال:

- "صدق الحاج وصدقت الحجة".

أدارت ظهرها وانشغلت في شؤون البيت علناً. وبالغمز الكثيف سراً لإقناع ابنها، الذي يرفض الزواج إلا إذا كان سيجني فائدة من ورائه.





رواية ساخرة
المنطق السراسي
فوزي عبده
جورجيت
فوزي عبده
FAWZI ABDO
فوزي عبده
جرة ذهب
قافلة الذهب والموت

عروس لاتشبهها عروس

احتاجت إلى آلاف الغمزات "شمال ويمين" واستغرقها الغمز شهراً كاملاً حتى وجدت ضالتها، وعبقرية شفيقة بالوراثة، أما الخبرة فقد اكتسبتها من مدرسة الحاج لأكثر من عشرين عاماً...

العروس التي تتمناها وتحلم أن تكون زوجة لابنها الوحيد جاهزة، وتنتظر غمزة واحدة منها وستأتي مهرولة... وإنْ نجحت خطتها ستغيظ عشراً من عدواتها، وهن زوجات الحاج نخري؛ فهذه العروس لا مثيل لها ولن يكون، هي نسخة واحدة لا تقلَّد، والآن لم يتبقَ أمامها إلا أن تجد الخطة المناسبة لإقناعه بالموافقة عليها، وفكرت، غمزة شمال... غمزة يمين...

وشدت شفيقة ابنتها من شعرها لتتشاور معها، وعفاف تصغر سداس بثلاثة أعوام، وتربطها علاقة غرامية سرية بخصم أخيها اللدود رزق اللعيب. سألتها عن رأيها في زواج أخيها، فردت عليها خفيفة الوزن والظل، الباسمة الضاحكة، التي يجهل الجميع من أين ورثت ظرافتها، وقالت:

– "سدااااس ابنك زوجيه أرض، عمارة، دكانة!".

عضت شفيقة على شفتها وقالت:

- "آخ لو أتمكن من إقناعه بالعروس التي اخترتها له!".

هزت عفاف كتفيها وطقطقت أصابعها وقالت:

- "في دولار؟ في دينار؟ راح يوافق، قردة، غولة، طرشة، حولة، مش مهم... بتزبط يا شفيقة!".

وبنبرة حزينة قالت:

- "للأسف العروس فقيرة وليس لديها ما يطمع فيه سداس".
- "إذاً لا ترهقي عينيك بالغمز".

وهنا صرحت شفيقة بأنها على استعداد لإعطائه بيت التينة إن وافق على الزواج من العروس التي اختارتها له، ولم تصدق عفاف أن والدتها تجرؤ على القيام بما لا يرتضيه زوجها الحاج، ولكن عدد الغمزات يؤكد جديتها، فردت عليها:

- "سيوافق أن يتزوج أمها أيضاً مقابل بيت التينة!".

تسرع شفيقة لإنقاذ الموقف، فما قالته عفاف إثم لا يغتفر:

- "خالتك سعاد هي أم العروس".

ذات الأربعين كيلوغراماً الظريفة، ارتعدت وفارقتها الابتسامة بعد أن شمّت رائحة زوجة أخيها المستقبلية، ثم قالت:

- "يما بليز بليز، بلاش علوش!! حرام عليكِ! هذا ابنك فلذة كبدك! بكِرك! بَغلك الوحيد! لا ترمي به إلى التهلكة".

ردت شفيقة:

- "لا إبليز ولا شيطان! أنا خططت وتكتكت مع حالي، بيت التينة مقابل زواجه من علوش".



غمزات شفيقة تحاصر العريس

وقبل أن يصيح الديك ويغمز، غمزت شفيقة وانقضَّت على العريس وأيقظته من نومه وبشَّرته بأن يوم السعد قد غمز.

فتح عينيه وتوسل إليها أن تتركه يكمل نومه، وألا توقظه قبل الظهيرة. ردت عليه بأنها لم تيقظه باكراً، وتسع ساعات فقط ويكون الظهر، وحثته على الاستيقاظ حتى لا تفوته الفرصة الذهبية، وحين لاحظ أن الغمزات سريعة وكثيفة، علم أنها لن تدعه ينعم بالهدوء، فاستيقظ وشرب القهوة وسألها دون مقدمات عن العروس التي تنوي أن تزوجه إياها. لم يسرها كشفه عن خططها "السرية"، شكت في أن عفاف قد أفشت السر، فهددت وقالت:

- "والله لأقطع لسانها أختك العوجا".

عفاف تحث الخطى لتدافع عن نفسها بعد أن سمعت صراخها وتقسم أنها لم تخبره بالعروس "السرية جداً"، تمايل بمشيتها بحركات استعراضية سعياً لاستفزازها وتقول:

- "أنا مش عوجا يمااا أنا بمشي على الموضة، خطوة شمال... خطوة يمين... خطوتين شمال... خطوة يمين... هيك بفكر أنا يمّاا".

تعض على أسنانها وتتوعدها، فتنسحب عفاف تاركة جسدها يتمايل برقصة مستفزة، وتتمتم بكلمات أغنية ألفتها ثم لحنها سداس على العود في الأيام الخوالي حينما كانا يسخران من شفيقة ونخري سراً:

- "تحت الزيتونة... شفيقة الحلوة يا عيوني... تحت الزيتونة...
أبيض وبني... بغلك يا نخري يا نخري... أبيض وبني...
تحت الزيتونة... غمزت البغل يا عيوني... تحت الزيتونة...".

منطق الغمزات وحرية اختيار العروس

يقسم سداس ويبرئ أخته من تهمة إفشاء السر الخطير، فتطمئن إلى أن خطتها السرية لم يتم الكشف عنها، ووجدت أنه لن يضرها ممارسة القليل من الديمقراطية في أن يختار ابنها العروس التي خططت أن تزوجه إياها، ورجاها أن تقلل من الغمز وتسرع الكلام ليتمكن من العودة إلى النوم، فرمته بغمزة أيقظت كل حواسه وعرضت عليه أن تعطيه بيت التينة إن تزوج! لم يصدق أن حلمه قد تحقق فقفز وقبلها وقال:

- "زيديني غمزاً... زيديني... زوجيني بيتاً... زوجيني ...
وخير البر عاجله، ولا تؤجلي زواج اليوم إلى الغد يا حجة!".

شفيقة الهبلة لا بد أن تتخابث قليلاً، فأخبرته أن عليه أولاً اختيار العروس على مزاجه. يتأفف سداس ويخبرها بأنه موافق "سلفاً" على العروس التي اختارتها "سلفاً" ولا يهمه من تكون. فترد عليه:

- "العجلة من الشيطان يا ولد...! والمثل يقول امشِ بعزازة ولا تمشِ بزوازة!".

يتدخل سداس ليصلح اعوجاج لسانها:

- "اسمها جنازة مش عزازة يماااه!".

حاول إقناعها بأنه لا حاجة لسياسة "الخطوة خطوة" التي تعلمتها من والده، إلا أنها لم تتنازل عن ممارسة الديمقراطية في اختيار عروسه التي لن تقبل بغيرها زوجة له، وقالت:

- جحا "أبدى" في لحم حماره، وبنات أعمامك "أَولى" بلحمك من الغريبات، وإن لم تعجبك إحداهن نذهب حينها إلى بنات الأخوال والخالات.

والأصول في البداية، والبداية في "عروسات" أهل أبوك، ولأعمامك سبع بنات، الطويلة ستنظر إليك من الأعلى إلى الأسفل، والقصيرة ستلد لك قزماً، والسمينة لن تشبع، والرفيعة لن تحتمل منك صفعة، والمتعلمة لن تحترمك، ولا يجوز أن تتزوج الأكبر منك سناً ولا الأصغر كذلك...!

- أما عماتك فواحدة لم تنجب إلا الصبيان ولو رزقها الله بابنة لزوجتك إياها، وعمتك الثانية لديها فتاة يغار القمر من جمالها ولكنها تزوجت وكفانا الله شرها، وهكذا نكون انتهينا من بنات عائلة والدك، ولم تعجبك أي منهن، صح... يا سداس؟؟

سداس ساخراً:

- أكيد أكيد... هيا يا حجة، لا تهدري الوقت، وأخبريني من اخترت لي من بنات إخوتك وأخواتك الحسناوات اللذيذات الجذابات! وكل واحدة منهن تقول للقرد قُم لأقعد مكانك!

غمزت شفيقة وأخذت تستعرضهن الواحدة تلو الأخرى، وإن علَّق على الطويلة ترد عليه بأن طولها مستقيم لا اعوجاج فيه، والسمينة ستحبسها وتجوّعها، والرفيعة ستطعمها حتى تسمن، والكبيرة ستحتمله وتراعيه، والصغيرة ستكبر على مزاجه، أما المتعلمة فسيتبخر العلم من رأسها بعد زواجها منه، فقاطعها سداس قبل أن تنتقل إلى استعراض بنات الخالات، قائلاً إن إحداهن تشبه الدائرة، والثانية كالمربع، ولا حاجة إلى المغامرة وإنجاب حفيد مكعب، واقترح عليها أن يُغرّب النكاح، فردت عليه:

- "فشرت عينك!! لن أسمح لك بإفساد خطتي".
- "يا حجة! أنااا موافق! اختصري أرجوكِ! من أجل البيت لن أعترض حتى لو زوجتِني ابن خالي!".

غمزة شمال... غمزة يمين... وقالت:

– "عندي عروس بنت وست البنات، مش طرشة ولا خرسة، لا طويلة ولا قصيرة، لا ناصحة ولا رفيعة، وجمالها مقبول، تزوجها ومبروك عليك البيت".

رد عليها بالموافقة وأوصاها بالإسراع في طلبها، وأن تحرص على إخبار العروس - التي لا يعرفها - أنه لا ينام الليل من شدة عشقه لها. شفيقة تحث الخطى وتمايل مثل البطريق، والفرحة تقفز من عينيها، وابتسامتها البلهاء تتسع، وغمزاتها تتسارع، وتحدّث نفسها قائلة:

– "معقول الولد عشقان علوش وما بنام الليل وأنا مش عارفة!".

سداس يشعر بأنه اقترب من تحقيق حلم طفولته بالاستيلاء على بيت التينة الزاخر بالذكريات، حيث هناك علّمه خاله ناصر عزف العود، وكتب أولى قصائد "الهبل" لبنت الجيران، وقبَّل أختها، وقرب هذا البيت ضرب ابن خاله، وجميع أولاد أخواله وخالاته وأولاد الجيران، بسبب أو دون سبب، وهو بطبيعته يحب الاستيلاء على الأشياء، فكيف حينما يتعلق الأمر بهذا البيت! وإن كان الثمن بجلب زوجة لوالدته لتخدمها وتسليها فلا بأس إنْ اختارتها بنفسها، وبإمكانه أن يطلّقِها متى شاء...

عفاف والأسر تحت سقف واحد

عادت الظريفة عفاف تتمختر، فسألها عن مكان اختفائها، فأخبرته أنها ابتعدت لستر ضحكاتها، حتى لا تسمعها شفيقة وتغمز على رأسها! وكان قد فاتها الجزء الأخير من الحوار، وتجهل أن والدتها قد ذهبت إلى بيت العروس، فقالت:

- الحمد لله على سلامتك ونجاتك من خطط شفيقة وغمزاتها! خسارة بيت التينة ولا خسارة روحك يا سداس!

بثقة وغرور برم شاربه وقال:

- ما حزرتي! والدتك في طريقها إلى بيت العروس، وبإذن الله اليوم سأتزوج بيت التينة!

عفاف لا تريد التصديق أنه بلغ هذا المستوى من الحمق ليوافق على الزواج من علوش "فتوَّة الحارة" وقالت:

- أنت أهبل "ولا بتتهبل"؟! أرجوك قُل إنك تمازحني!

رد عليها، وهو ما زال يجهل عروسه:

- أنا رجل عملي ولا وقت لدي للمزاح! وقبل غروب الشمس ستكون زوجتي على سنة الله ورسوله.

تشد شعرها لتشعره بحجم المصيبة، وتقول:

- "لا حول ولا قوة إلا بالله! إنا لله وإنا إليه راجعون! هل تعرف من التي تريد أمك تزويجك إياها؟؟ أم أنك "تستهبل"؟!".

يشعر بالقليل من الارتباك والشك في أمر مريب، ولكنه لا يرد على سؤالها عن هوية العروس، فقال:

- "لا يهمني من تكون! سأكتب كتابي عليها وسأتركها لتخدم أمك، لا شيء أخسره، خاصة أن زواجي الأول سيكون على حساب الحاج".

عفاف تقضم أظفارها دون أن تخفي جزعها من فكرة زواجه بعلوش، فأخذت تستعطفه لعله يعود عن قراره، وقالت:

- "أنا أختك حبيبتك، الصغيرة الناعمة الرقيقة، أيهون عليك أن تخاطر بحياتي وتحرمني من نوم الليل؟".

يتسرب القلق إلى نفسه ويقول:

- "ما بك؟! وهل سأتزوج "ضبعة" حتى تخافي النوم ليلاً بوجودها؟!".
- "الضبعة يا محلاها! بالإمكان حبسها في غرفة".

رد عفاف والخوف الذي بدا على محياها سرب الخوف إلى قلب الذي لا يعرف الخوف، فسألها بصوت خافت وكأنه يخشى أن يسمعه أحد:

- "مين العروس يا عفاف؟"

أخذت تشيح ذراعيها وتصفق يسرة ويمنة:

- "ديناصورة يا حبيبي ديناصورة! علوش بنت خالتك سعاد العروس!".

بدهشة واستغراب شديدين قال:

- "ليش خالتي سعاد عندها بنات؟!".

ردت مستهزئة بسؤاله:

- "اسم الله عليك! وعلوش شو بتكون زلمة ولا زلمة؟".

ولحسم الموقف قال:

- "علوش رجل وأجدع من كل الرجال!".
- "مبروك عليك علوش، الله يرحم زمان لما ضربتك إنت وعمك فلاح وخالك هاشم!".

لم يهضم كلماتها، وتمنى أن يكون في الأمر سوء فهم، فهو على قناعة بأن شفيقة هبلة، ولكنها لم تصل إلى هذا المستوى من الجنون لتسكن علوش بيتها، وبحثاً عن الطمأنينة قال لنفسه قبل أن يقول لها:

– "أمك عاقلة، ولن ترتكب مثل هذه الحماقة! ومن المؤكد أن هناك عروساً أخرى. لا تبالغي! كفى هبلاً يا عفاف!".

أخذت عفاف تثرثر دون كلفة وتستعرض عضلات علوش وبطولاتها، وأسهبت في الحديث عن معركة الطاحونة التي حدثت في غياب سداس، ولا يعرف تفاصيلها وكيف أخرجت علوش البلطة، وطاخ طيخ... طاخ.... طيخ... وأوقعت عشرين إصابة بعائلة الزغلول، دفاعاً عن الحاج نخري بعد أن (دعسوا في كرشه) ومنذ تلك الواقعة وشفيقة تعشقها ولا تفارقها ليل نهار، وما إن انتهت عفاف من شرحها حتى اهتز شارب سداس، ليس لأنه اكتشف أنهم (دعسوا في كرش الحاج) وإنما من الورطة التي أقحم نفسه فيها.

حاول ألا يظهر ما اعتراه من خوف أمام أخته الصغيرة، فاقترب منها وقبلها على خدها، تفاجأت منه، وهي التي لم تعتد منه على مثل هذه المشاعر الرقيقة، وبصوت حنون قال:

– "عفاف أختي حبيبتي، الحقي أمك قبل أن تورطني بغمزاتها وأعدك إن أنقذتِ الموقف فسأعيد النظر في زواجك من رزق ولن أضربه شهراً كاملاً، والله يشهد على ما أقول".

ترتسم على شفتيها ابتسامة خبيثة، فلا شيء يسعدها أكثر من موافقة أخيها على نقاش موضوع زواجها من رزق، ولكنها فضلت الاستمتاع باللحظة وتذوق خوف سداس من القادم، فقالت:

- "وماذا سينفعني رزق بعد أن تحولني علوش إلى نكاشة أسنان؟ أنا وزني 40 كيلو، إنْ أمسكتني "تطعجني!" أو تفعل بي مثلما فعلت مع الحجة نزهة الغانم".
- "وماذا فعلت مع الحجة نزهة؟".

أخذت تشرح له أن علوش تنزعج إن رفع أحدهم صوته في وجودها، والحجة نزهة - سامحها الله - لم تتعلم مما حدث لخالك هاشم، الذي لم يتعلم مما حدث لعمك فلاح، فرفعت صوتها، وعلى الفور طار أنفها.

يضحك سداس ساخراً ويخبرها أن علوش بحاجة إلى رجل يصفعها ويؤدبها، فيهذبها ويروضها، ويعلمها كيف تكون مطيعة. وبنبرة نخورة مناصرة للمرأة في وجه فتوة الرجال، ردت عليه باستهزاء:

- "سمعت هذا الكلام من خالك هاشم قبل أن تشوه علوش وجهه، وخالك ما شاء الله عليه! أعرضُ منك وأطول يا سداس!".

عفاف التي ترتعب من علوش أكثر من غيرها، استمتعت وبالغت في الحديث عن جنون علوش، وكيف ضربت وطعنت لأتفه الأسباب وأغلب هذه القصص يعرفها سداس مذ كانوا صغاراً.

سداس يشعر بحجم الورطة التي وقع فيها ويبرر تراجعه حتى لا يبدو ضعيفاً أمام أخته، ويخبرها أنه لن يتزوج علوش فقط لأنها تشبه البغل، فترد عليه:

- "فات الأوان! منذ ساعة ووالدتك هناك، ومن المؤكد أن كل شيء قد تم، وإن فكرت بالتراجع عن الزواج منها فستغضب وإن غضبت علوش، ستذبحك وتذبحني وتذبح شفيقة والحاج نخري وخمسة من الجيران!!

امتقع لونه وأشفقت الشقيقة ابنة شفيقة على حاله، وبعفوية أخذت تطمئنه وقالت:

- "علوش قلبها طيب وبنت حلال! أنت حاول ألا ترفع صوتك بوجودها، ولا تزعجها صباحاً، واسمع كلامها ولا تجادلها، ولا تقل لها "لا!" ونفذ كل ما تطلبه منك، وهكذا لن تغضب منك وستسير الأمور على خير ما يرام".

شفيقة والعروس

قبل ساعة من هذا الحديث كانت شفيقة قد وصلت إلى بيت أختها سعاد، ودخلت البيت دون سلام أو استئذان كعادتها كل يوم، عيناها تغمزان وتبحث عن العروس، فطلبت منها شقيقتها أن تخفض صوتها حتى لا تزعج علوش في نومها، فترد عليها بأنها جاءت تحمل أخباراً سيرقص لها قلب علوش:

- "ابني سداس قرر أن يخطب علوش".

اختلطت الكلمات على سمع سعاد وقالت:

- "سداس يريد أن يخبط علوش؟! أمجنون هو؟! علوش تخبط وتدعس على عشرة من أمثاله".

فتوضح لها شفيقة أن المقصود خطبة وزواج، لا خبط وضرب، فتقول لها سعاد:

- "قصدك علوش عروس، وسداس عريس؟!!! يلا يا أختي روحي على بيتك بلاش عالية تروّحك بلا خشوم!".
- "لا تخافي على خشومي! أنا وعلوش بنفهم على بعض! هاهاها...".

سألتها إن كان ابنها من أرسلها في هذه المهمة الانتحارية، فغمزت وقالت:

- "وأوصاني أيضاً أن أخبرها أنه عاشق ولهان!".

حاولت سعاد أن توضح لها أن سداس ما أرسلها إلا لتموت على يدي علوش فيرثها، فردت عليها قائلة:

- "لا تخافي! سداس وَلدي وأعرف دواءه... وأنا خططت وتكتكت، وأنت ارقصي وزغرتي!".

- "لا داعي للعجلة! حين تستيقظ علوش سترقص على رأسك ورأس ابنك!".

استيقظت فتوة الحارة العروس (علوش) من نومها منزعجة، وأخذت تفرك عينيها، وبصوت أجش مبحوح قالت:

- "يا صبّاح يا كريم يا فتّاح يا عليم... كم مرة نبهت عليكِ يا شفيقة ما تزورينا قبل الظهر!!! أوووف منك...".

ورمت أمها بنظرة صاروخية وقالت:

- "قومي اعملي إبريق شاي! وأنت يا شفيقة لِفّي كم سيجارة، ولا تبصقي عليها!".

- "من عيني راح ألَفِّلك أحلى سيجارة، وفي إلك عندي خبر حلو حلو حلو...".

علوش تحك رأسها وتفكر ماذا قد يكون الخبر الحلو الذي جاءت به شفيقة وتقول:

- "خبر حلو حلو؟! أكيد الحاج فخري مات في السعودية؟!".

شفيقة تزم شفتيها:

- "فال الله ولا فالك... بقولك خبر حلو حلو".

علوش تحاول التخمين مرة ثانية وتقول:

- "آه آه خبر حلو! ابنك سداس مات؟".

شفيقة تتأفف:

- "وبعدين معك! سلامته سداس".

يفيض صبرها فتقول:

- "طيب مين مات؟ خلصينا قولي بسرعة! أبوي ولا خالي هاشم؟".
- "ما حد مات ما حد مات، بدي أسألك شو رأيك في سداس يا علوش؟".

انبعثت أصوات عجيبة من أنفها قبل أن تقول:

- "حرامي وكذاب مثل أبوه، وأهبل مثلك...! وما لقي حد يدعس على راسه، وشاف حاله على الناس... بس وحياة شاربك يا خالتي شفيقة إلا أربيه أنا".
- "لا لا يا خالتي سداس اليوم محترم وقرر يحج مثل أبوه".

تشد علوش عضلات أنفها وتقول:

- "على سلامته الحاج نخري، كل شهر بيحج ويسرق ويتزوج... إنت بعدك على ذمته يا خالتي ولا بيشتغل معك بالحرام؟".

أربكها السؤال وأخذت تقسم بأن الحاج لا يغمزها إلا بالحلال، فردت عليها علوش بأن الشرع حلل له أن يتزوج سبعاً ولم يحلل عشراً، وقالت:

- "سداس ابن حرام وإنت عارفة".

شفيقة محاولة رد التهمة عنها:

- "الله يسامحك، أبوه الحج نخري على سنة الله ورسوله، ومين حكالك إنه ابن حرام؟!".
- "أمي قالت إنو الحاج نخري غمزك قبل عشرين سنة تحت الزيتونة وحبلتي بسداس".

شعرت شفيقة بأنها قد تورطت في جدل بيزنطي وأن خطتها لا تسير كما تشتهي، واختصاراً للغمز والتكتيك قالت لها إن سداس يعشقها ويرغب في أن يتزوجها لتحمل بابنه نخري وابنته شفيقة.

- "وكيف بده أحمل نخري الحرامي الصغير وبنته شفيقة الهبلة... هذا الواطي ابن خمسة شهور؟"
- "بالزواج، مثل كل الناس!".
- "أنا ما تزوجت حتى أعرف كيف الناس تتزوج... اشرحيلي كيف وبالتفصيل الممل".
- "كتب كتاب وفرح ودخلة مثل كل الناس... افهميها!".
- "وكيف بده يدخل عليّ؟ من الشباك ولا من الباب؟".
- "معقول ما بتعرفي كيف الدخلة بتكون؟".
- "أنا بعرف، بس حابة أسمع منك وأتأكد قبل ما أتصرف، إنتِ هبلة وما بدي أفهمك غلط خالتي...".
- "مش عارفة كيف أشرحلك...".
- "أنا بشرحلك وإنت بس جاوبي آه أو لأ... قصدك إنه ابنك الواطي يغمزني مثل ما الحج غمزك بين الزيتون".
- "يعني إشي بيشبه إشي بس بالحلال يا خالتي".

- "خلص، فهمت بس بدي أسألك، أمي بتعرف بالموضوع؟".
- "أكيد أمك بتعرف في كل شي".

أخذت علوش تقضم أظفارها بعصبية وتنادي على أمها:

- "يما يما يماا...! تعالي يماا".

اقتربت سعاد بحذر شديد، وصكت علوش على أسنانها، وقالت:

- "خالتي، بتقول إنك بتعرفي إنها بدها سداس يغمزني... بتعرفي إنت يما ولا مااا...؟"

قاطعتها سعاد:

- "والله العظيم ما بعرف، هاي شفيقة وحدة كذابة!".

زمّت شفيقة شفتيها مستهجنة إنكار أختها وقالت:

- "الله يسامحك يا سعاد، مش مهم... وشو رأيك يا علوش بالموضوع؟".

تخنصرت علوش وعضت على أسنانها وطلبت أن تنتظرها حتى تحضر لها الجواب من المطبخ. تساءلت شفيقة إن كانت علوش قد ذهبت إلى المطبخ لتعد لها القهوة أم لتحضر سكيناً وتقطع أنفها وأذنيها، هنا أخذت سعاد تشوح بيديها وتهمس:

- "اهربي، يا شفيقة اهربي!".

وثبت شفيقة مثل الغزال، ويا روح ما بعدك روح، هرولت مسرعة حافية القدمين، حاسرة الرأس، ومع كل خطوة تلتفت إلى الخلف لتتأكد من أن علوش لا تلاحقها، ووصلت إلى بيتها لاهثة، أغلقت الباب وأسندت ظهرها إليه، ثم تربعت لتلتقط أنفاسها. سألتها عفاف عن الرعب الذي أطل من عينيها، فأخذت شفيقة تدور بعينيها لتتأكد من أن النوافذ مغلقة وقالت:

- "خير يماا خير كله تمام... بالصلاة على النبي اُلطُف يا رب الطُف! وبلاش حد فيكم يطلع من البيت هذا الأسبوع!".

رابِط الجأش يترقب أن تنطق أمه بكلمة مفهومة، وبما أنها لا تغمز فهذا يبشر بأن العروس لم توافق، فسألها عما حدث فردت عليه:

- "موافقة يماا موافقة... أكيد موافقة... وأنا هربت بسرعة".

في محاولة لفهم التناقض الذي لا تصاحبه الغمزات سألها:

- "إن كانت العروس موافقة، فلماذا هربتِ؟".
- "موافقة يما موافقة...! وراحت تجيب البلطة وأنا خفت تقطش خشومي فهربت".

حينما هدأت قليلاً رجته ألا يخرج من البيت عدة أشهر حتى تتأكد من أن علوش لا تنوي أن تفتح رأسه بالبلطة، وأخذت تطمئنه إلى أنها لن تتركها حتى توافق على زواجها منه واختتمت حديثها:

- "اتطمن عندي خطة جديدة!".

تأفف سداس وقال:

- "يستر عرضك بلاش الغمز والخطط!! أنا مسامحك بالبيت وعليّ الطلاق ما راح أتزوج في حياتي سلام أنا طالع!".

حرصاً على سلامة أخيها، نصحته عفاف بعفوية أن يطلب من أصدقائه مرافقته لمساندته في حال هاجمته علوش على حين غرة. ما قالته استفز رجولته فرد عليها غاضباً:

- "انصرفي من وجهي، أنا سداس ولست بحاجة لحراسة".

فتوة الحارة وزيارة مفاجئة

مر شهر كامل لم تقترب فيه شفيقة من بيت شقيقتها، بعدها تفاجأت بزيارة غير متوقعة من علوش، فارتعدت فرائصها وغطت أنفها بكفيها كإجراء وقائي، في حال كانت تنوي قطعه، ودون تفكير وبعفوية أخذت تصرخ على عفاف لتسرع وتنادي كل الجيران وأهل الحارة، استهجنت علوش دعوة الجيران دفعة واحدة فسألتها عن السبب فردت:

- "حتى يشربوا الشاي معنا يا خالتي!".

سألتها علوش عن السر وراء إخفاء أنفها، وإن كانت هناك رائحة قذرة تشمها، فردت بعفوية:

- "لا لا ليست رائحتك يا علوش، إنما رائحة ابنتي عفاف خزاها الله".

سألتها علوش عن سداس فردت عليها شفيقة:

- "سداس سافر مع والده لأداء فريضة الحج وسيسكن في مكة ولن يعود، وماذا تريدين منه يا علوش؟".

أخبرتها أن رزق اللّعيب طلب منها إقناعه بالموافقة على زواجه من عفاف، تنفست شفيقة الصعداء واطمأنت إلى أن علوش لا تنوي قضم

أنف أحد، عادت للغمز لإقناعها بالزواج من سداس. أسرعت عفاف لقطع الطريق عليها حتى لا تعيد الكرَّة مرة أخرى وقالت:

- "يماا يماا الحاج نخري مات!".

ابتهجت علوش وقالت:

- "الله يبشرك بالخير يا عفاف! عقبال عند سداس! وخالي ناصر! وأبوي معهم!".

هرولت شفيقة دون أن تفهم أو تسأل، وكل همها الاطمئنان إلى الحبيب الغالي، تركت خلفها عفاف مرعوبة، حانية رأسها لا تنبس بحرف، وحين سألتها علوش عن فكرة زواجها برزق أجابت:

- "القرار لك يا ابنة خالتي، أنا لا أقرر بوجودك...".

العشق السداسي القاتل

تلاشى حلم شفيقة بزواج سداس من علوش، فشلت في إقناعه بأي زواج يمر عبرها، قال قوله السداسي: "غمزات أمي هدرت دمي!" وبعد مرور نصف عام اعتزل الحياة وأغلق باب غرفته، واعتلّت صحته، ولم يعد يتناول من الطعام إلا القليل، ووصل الليل بالنهار يعزف على العود وينظم الأشعار، وهذا الحدث المفاجئ أثار قلق شفيقة، فدارت مثل المكوك من زاوية إلى أخرى تفكر بلا غمز:

- "أمر مريب غريب!".

قلب الأم دليلها، فسحبت عفاف من شعرها لتشاركها القلق وتفكر معها في اكتشاف الأسرار السداسية وراء هذه الخلوة الغامضة، وقالت لها:

- "أخوكِ لا يأكل ولا يشرب، ولم يضرب أحداً منذ أسبوع!".

الشقيقة ابنة الشفيقة تنهدت وسبلت عينيها وقالت:

- "الحب يماا الحب...! آخ يا قلبي من الحب...! لا تخافي سداس عاشق وهذه علامات الحب".

عضت على أسنانها ولم تغمز، ثم سألتها:

- "وأنت ما أدراكِ بالحب يا عوجة؟ سداس ابني ولا يحب إلا الدينار!".

ما كان لها أن تقنع أم التكاتيك بأن هذا الحب المعدم من الأملاك والمال قادر على الاقتراب من ابنها، ولا يجوز لشفيقة أن تقف مكتوفة اليدين أمام هذا الحب، فقررت أن تفكر في طريقة لاكتشاف اللغز بالغمز، غمزة شمال... غمزة يمين... وماذا يمكن أن يدخل السرور إلى قلب ابنها غير المال والأرض... فأعدَّت خطتها واقتحمت خلوته وعرضت عليه أن تعطيه ما تملكه من قطع ذهبية، وحتى أنها عرضت عليه بيت التينة، فلم تلمع عيناه وتجاهل عرضها متنهداً، وقال:

- "مشكلتي أكبر من العقار والذهب والدينار!".

ألحّت عليه وتوسلت ليفتح قلبه ويصارحها بما يجول في خاطره، فرد عليها:

- "غرقت يا أمي ولم أجد من يمد لي الحبل وينتشلني".
- "أغرقتَ في البحر يا سداس!؟".
- غرقت في الحب وليس في البحر يا حجة!".
- "الحب حلو، توكل على الله واغرق".
- "بحبها يماا...! بعشقها وبموت فيها...".

- "حِبّ واعشق بس بلاش تموت! ومين هاي اللي بتحبها وبدك تموت فيها؟".
- "جميلة... يماا... جميلة...".
- "هي جميلة وأنت جميل ما شاء الله عليك ما أحلاك!"
- "اسمها جميلة يا حجة!".
- "جميلة ولا مش جميلة بزوجك إياها لو بنت الباشا، وإنت كم شهر صارلك بتحبها وأنا ما بعرف؟"
- "أسبوع... وأحلى أسبوع في حياتي... بحبها يماا بحبها...!".
- "أسبوع أو شهر ليس مهماً! أبوك أحبني من غمزة؛ وأين التقيت بها يماا؟؟".
- "لم نلتقِ، ولكن بحبها وبموت في حبها...!".
- "حسناً، ماذا قلت لها؟ وماذا قالت لك؟ افتح قلبك وأخبرني!".
- "لا قلت ولا قالت... ما التقينا حتى أقول وتقول... "بحبها" دون قول".
- "حسناً، دعني أفكر، أخطط وأتكتك كيف أزوجك جميلة".

فغر فاه وارتفع صوته وتردد صداه:

- "يستر عرضك لا تخططي ولا تغمزي بعينيك".

سألته:

- "أين رأيت هذه الجميلة؟".

فأخبرها أنه لم يرها، ولكنه يتعذب بعشقها، فاحتارت شفيقة بأمرها وكانت حريصة على ألا تظهر جهلها بالحب، وسألته:

- "إن كنت لم ترها فإذن هي قد رأتك، وبناء على رؤيتها لك أحببتها، صح يمااا؟".
- "مش صح يا حجة، لم أرها ولم ترني، لم أكلمها ولم تكلمني، حب يخلو من الرؤية والقول، وإن لم أتزوجها فسأقتل نفسي يا ماما".
- "ماما! وشو هاي ماما؟!".

قالتها بتعجب وهي التي اعتادت على الـ "يمااه" وكان عليه أن يترجم لها معنى ماما:

- "إنت ماما شفيقة يعني يمااه... بحبها يا ماما...!"
- "مين هاي اللي أخذت عقلك... وهبلتك يا سداس!؟".

أخبرها أنها جميلة بنت سلمى الأحمدي، ووقع الاسم على شفيقة كالصاعقة، حيث إنها ابنة من وقع الحاج فخري في حبها وسعى للزواج منها قبل سنوات طويلة من لقاء شفيقة وواقعة الزيتون، وعلى وقع الاسم اختفى التعاطف مع الحب، وحل الغضب، فقالت:

- "حَبَّك بُرص وعشرة خُرس! مش لاقي تحب إلا بنت سلمى! يا حيوان يا ابن الحيوان ...".

فرد العاشق:

- "الحبُ داءٌ والعِشقُ سمٌ قاتل... وهو وحٌ لا يستأذن ولا يقرع الأبواب ولا يختار من تكون أمه".

شدت عضلات أنفها وقالت:

- "الله لا يوفقها سلمى بنت الحرام، كانت بدها تسرق زوجي مني!!".
- "يا ماما الحق حق والباطل باطل، أنتِ من سرقتِ والدي منها!".

تبرمت الحجة واشتعلت عيناها غضباً، وتدفق الدم إلى وجنتيها، ولن يشفي غليلها إلا أن تلعن سبب ومسبب هذا الحب الجارح لكبريائها، وهي التي لم تنسَ يوماً حين قالوا بعد زواجها من نخري:

- "حَلُم في سلمى ونام في أحضان شفيقة!".

طلبت منه أن يخبرها من الخنزير ابن الخنازير الذي عرّفه على بنت سلمى لتدعو الله أن يحرقه وأهله معه، فرد عليها بكل برود:

- "خالي ناصر، أخوكِ يا حجة!".

ارتدت اللعنة وعادت إليها، ولا بد من التراجع قبل أن تصيب الأحبة، فقالت:

- "ناصر أخوي اللي عرّفك عليها، بعيد الشر عنه سلامته وسلامة أهله... كيف بيعرفها هو؟".
- "لا يعرفها، لم يرها ولم يلمحها، ولكنه يعرف صديق شقيق جميلة وورطني بعشقها، وإن لم أتزوجها فسأقتل نفسي... لا حياة بعدك يا جميلة...!".

غزتها أوهام الموت وأسرعت في البحث عن الحاج نخري، لعلها تتمكن من إنقاذ فلذة كبدها قبل أن يرتكب حماقة بحق نفسه. دارت على كل بيوت زوجاته وطليقاته حتى وجدته، وأخذت تقص عليه الحوار الذي دار بينها وبين سداس، فسخر منها الحاج قائلاً:

- "ابنك سداس عاشق!! ومن هذه التي عشقها؟".

تلاشى الخوف على الابن واشتعلت نار الغيرة في قلبها، وغمزت وردحت:

- "عشقان بنت سلمى الأحمدي، الساقطة حبيبة قلبك من زمان، لو أنها محترمة لما سمحت لابني أن يعشق بنتها!".

يمسّد الحج لحيته ويستعيد ذكريات حبه لسلمى من طرف واحد، وكان والدها قد رفض زواجه منها لما كان يتحلى به من أخلاق حميدة، وبصوته رنة لا تخلو من الاشتياق، قال:

- "سلمى زوجة الأستاذ سليم، الله يستر عليها... وأنت يا شفيقة إذا واصلتِ اغتياب الناس لن تُقبل صلاتك".

شفيقة تشعر بالذنب لما نطق به لسانها وتقول:

- "أستغفر الله العظيم، ولعنة الله على الشيطان، ويا رب أبعد عني شر سلمى الساقطة وابنتها جميلة التي سحرت الولد، وبسببها سيرمي نفسه في البحر".

ضحك الحاج، ومن يعرف سداس أكثر منه، وقال:

- "لا تخافي! اذهبي إليه وأعطه أساورك الذهبية وسيشفى من مرض الحب".

حين أخبرته أنها عرضت عليه الذهب والبيت ولم يكترث أصابه الذهول ولم يصدق، ووعدها بزيارته بعد صلاة الظهر.

الحاج ما كان ليشغل باله في قصص سداس التي لا تنتهي، واختصاراً لإلحاح شفيقة توجه إلى الحديث معه، وذكّره بالاتفاق الذي تم بينهما في السابق، وبموجبه تعهد سداس بتجنب افتعال أي مشكلة داخل البلدة

قد تمس سمعته ومكانته، وفي المقابل سيصرف النظر عن كل ما يقوم به سداس خارج البلدة، وسأله عن جميلة، وحذره من الفضيحة التي سيتسبب بها.

- "بحبها يا بابا بحبها! اطمئن حبي لجميلة سري للغاية، لا يعرف به أحد، ولم يذكر باتفاقنا أن العشق ممنوع".

ساخراً رد الحاج:

- "يا روح بابا وماما إنت ... لا أحد يعرف، وأمك تعرف وكم غمزة شمال، وغمزة يمين، وكل البلدة ستعرف.
- "بحبهااااااااااا" والحب ليس عيباً ولا حراماً.

يتفحصه الحاج من الأسفل إلى الأعلى ويقول:

- "بتحبهاااا"؟؟ وما الهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا الحب هذه المرة؟".
- "وحياة لحيتك يا حاج نخري، هذه المرة حبي نظيف أبيض مثل الحليب، من دون أهداف دسمة".

احتار الحج، وما كان يوماً ليحتار في الكشف عن نوايا ابنه، فقرر أن يلقي له الطعم. عرض عليه عشرة دونمات من أرض الزيتون الروماني مقابل أن يُعرض عن فكرة زواجه من جميلة، وما كان ليفعلها لو وافق.

ولكن فاجأه سداس برده بأنه سيتنازل حتى عن حقوقه في ميراثه مقابل زواجه من جميلة، "تبلم" الحاج أمام هذه الحالة النادرة الشاذة عن القاعدة، سداس يتنازل عن شيء!

حك رأسه وفرك أرنبة أنفه، وملّس لحيته وغرق في حيرة، وما عاد قادراً على التمييز إن كان هذا هو الداهية الخبيث أم الأحمق، وقال له:

- "أنا مش شفيقة تضحك عليّ بهبلك".
- "ورحمة جدي عبود، حبي لها عابر للحدود".

أخذ الحاج يتمتم:

- "اللهم إني لا أسألك رد القضاء وإنما أسألك اللطف فيه!".

وشعر بأن الأيام القادمة ستحمل عواصف وأمطاراً سداسية، إن بقي ابنه مصراً على حماقته، وهو يدرك أن الأستاذ سليم لن يزوجه جميلة حتى لو قتله أو قتلها، ولا يلومه على ذلك، فأي أحمق يرضى أن يقترب من سداس، ذائع السيط كالنار يحرق ولا يحترق، والمصيبة الأكبر أنه يعلم أن ابنه ما تنازل يوماً عن هدف سعى إليه، وأمام هذا المعضلة قرر الحاج أن يستحضر دهاء السنين لمجاراة ابنه، واتباع سياسة الخطوة خطوة لعله ينجح في إقناعه بالتخلي عن هذه الحماقة، وأوحى له أنه متفهم لهذا الحب وقال:

- "كل مشكلة ولها حل، اِحكِ لي عن حبيبتك جميلة وكيف تعرفت إليها، وهات لأرى ما كتبه خالك ناصر فيها من أشعار".

شعر سداس بالارتياح لتفهم والده وقال:

- "أعشقها منذ أسبوع، وخالي ناصر لم يساعدني في حبها، ولا حتى بالشعر مثل كل مرة... هذا الحب نابع من القلب، قلبي أنا وليس قلب خالي ناصر!".

يجاري الحاج ابنه ويسأله:

- "قبل أسبوع لم تكن تحبها، لأنك كنت مشغولاً بحب غيرها مثلاً؟".

- "قبل أسبوع لم أكن أعرف بوجودها، وحين علمت لدغني العشق بسمه القاتل".

يرغب الحاج في صفع سداس وإنهاء هذا الحديث فوراً، ولكن للظروف أحكاماً، وعليه مجاراته، فقال:

- "لقد فهمت من أمك أنك لم ترها من قبل، وبناء على وصف خالك ناصر أحببتها".

يرد عليه سداس:

- "هذا كلام غير دقيق، وجدي عبود شيخ العرب علّمني أن أتوخى الدقة في القول، خالي ناصر لم يرها أبداً، ولكنه يعرف صديق أخيها لجميلة، وبناء على الوصف تأكدت أن شقيقها (ولد حلو كثير كثير)، وحين أخبرني أن له أختاً عشقتها عشق الجنون، وهذه هي القصة الدقيقة من الدقة وليس الساعة! والمثل يقول (الحب كالدقيق رائحته ذكية حينما يخبز على نار هادئة)".

تمتم الحاج:

- "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إن المجانين لفي نعيم! لم ترها، ولم يصفها لك أحد، وعشقتها؟! ألم تفكر للحظة أن جميلة هذه قد تكون على غير ما تعتقد؟".
- "جميلة اسم على مسمى، والمثل قال، أقصِد خالي ناصر قال، إذا أخوها "حلو" فهي سكر!".

الحاج يهز رأسه ونبرة صوته لا تخلو من الاستهزاء:

- "مفهوم مفهوم، خالك ناصر خير من وصف الأولاد، جميلة لك وأخوها لخالك ناصر... وأنا من سيدفع الثمن لاحقاً!".

"هات يا حبيبي أشوف الشعر الذي نظمته في جميلة، والشعر الذي نظمه ناصر في أخوها...!".

يلملم سداس الأوراق التي "شخبط" عليها أشعاره، المبعثرة في أرجاء غرفته ويقول:

- "أنا سأقرأ لك لأنني ابن مدارس... وأنت لا تعرف القراءة جيداً، كما أن صوتي أعذب من صوتك، وسأحضر العود وألحن لك الكلمات حتى تستمتع أكثر".

أحضر سداس العود وضبطه وأخذ يلحن الكلمات:

- "أول الصبح أطل من عينيك ... وملأ التلة بهاء نوراً وضياءً
والشمس مرت من بين يديك... لتزور الشجر والورد والماء
بحبك بحبك يا مزرعة التلة... ودونك الشمس ما إلها ظلة
أنت الورد والشجر... أنت الزهر والثمر
بحبك وبحب العنب في (طرافك)... الخوخ والبرقوق... و(نبعة المية)"

انفرجت أسارير وجه الحاج وارتسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامة خبيثة، وشعر بأنه قد فك لغز هذا الحب، وكشف عن خبايا ونوايا نفس سداس، وبحماس قال:

- "ما شاء الله عليك شاعر ابن شاعرة! كدت تقنعني بُحبها فعلاً، ولكن القصيدة ذكرتني بطفولتك البريئة حينما أحببت ابنة الجيران وتبين أنك تخطط للاستيلاء على كلب أخيها، وحينما أحببت ابنة سعدون تبين أنك تعشق دكانة والدها، ولكن هذه المرة حبك يزيد على الألف دونم!".

يرد سداس على ما اتهمه به الحاج:

- "هذه المرة مختلفة عن سابقاتها، فقد زارني الحب وطعنني بحرابه، وها أنا أنزف عشقاً لجمالها وأخلاقها وعينيها وشعرها وأذنيها وعنقها، وبقية الأشياء الأخرى في جميلتي، والمثل يقول الحب شامل لا يتجزأ!".
- "ما شاء الله عليك! تحب كل شيء في جميلتك حتى دون أن تلمحها؟!".
- "الشاعر يعشق بأذنه قبل عينه يا أبتِ... وأنا حبي لها من الهمسة الأولى، وليس من النظرة الأولى، أنا شاعر وحبي يختلف عن بقية الناس الذين ليسوا شعراء مثلك!".

يتململ الحاج وقد أصابه الملل وفاض صبره وقال:

- "صدقتك يا شاعر الهمسات، ولكن لدي سؤالاً، لماذا لم تكتب الشعر في حبيبة قلبك جميلة!؟".
- "سلامة عقلك يا حاج! لقد تلوت عليك قصيدة تصف جمالها وحبي لها، وهذا الحب لو سمعت به ليلى لبصقت في وجه قيس وقالت له اذهب وتعلم الحب من ملك الحب، المقصود أنا".

ما عاد الحاج قادراً على ضبط أعصابه:

- "الله يلعن أبوك! هذه القصيدة تصف مزرعة التلة!".

وهنا انتبه سداس إلى أنه فعلاً كتب قصيدة في المزرعة لا في جميلة، واستدراكاً للموقف قال:

- "أنا أحب المزرعة لأن جميلة تسكنها، والحب شامل لا يتجزأ، ومن شدة حبي لها فقد أحببت ترابها، ماءها، زيتونها، رمانها، تينها، جوافتها، خوخها، برقوقها، دجاجها، بطها، عجولها، خرفانها، خيارها، بندورتها".

قاطعه الحج قبل أن يكمل وصف ما تضمه مزرعة الأحمدي:

- "ما شاء الله! دولة تعجز عن شراء هذا الحب!".

- سأثبت لك يا أبتِ أن هذا العشق يخلو من الأطماع وسأتلو عليك قصيدة حزينة... حتى الولد (روميو) لم يفكر في أن يكتب مثلها لـ(جولييت).
- تفضل لحِّن وغنِّ المزيد من (الهبل)!
- "ركز معي بالكلمات يا أبتِ، وحاول أن تتأثر وتبكي قليلاً، واسكب كم دمعة، حتى تندمج مع الجو الحزين".

"أوصيكم... أوصيكم... يا أهل داري
إن باغتني الموت... هذا قراري
أوصيكم... بمزرعة التلة ادفنوني
وبجوار نبع مائها... اذكروني
وعلى حبي لجميلة... لا تلوموني
أتمنى الموت إنْ ما ملكتك يا عيوني".

- "هذه القصيدة لها جزء ثانٍ وحين تسمعه سيتمزق قلبك حزناً على فراق ابنك الغالي – أنا - وقريباً سألحنها وأبحث عن مطرب لغنائها".

الحاج يستشيط غضباً فما عاد قادراً على مجاراته، فصرخ عليه:

- "كاتب وصية يدفنوك بأرض الناس! شو فكرك هي مزرعة أبوك ولا أمك يا حيوان! لا تخلي حد يسمع هبلك فاهم؟!".

ترغرغت عينا سداس بلا دموع وتبرم وبنبرة حزينة قال:

- "ما دمت قد قررت يا أبتِ أن تحارب حبي الشريف النظيف الحليب الأبيض الخالي من الكوليسترول، وترفض التعاطف مع عذابي وألمي وأحزاني - أنا العاشق الولهان - فقد قررت أن ألقي نفسي في البحر لأغرق حتى الموت".

الفكرة تعجب الحاج ويقول:

- "فكرة عظيمة، وربما حينها يخلّد الشعراء ذكراك بقصيدة، لا تتردد! اقتل نفسك بسرعة! ورجائي أن تبحث عن طريقة أخرى لأن البحر بعيد".

- "إذاً، سأرمي جسدي تحت عجلات القطار وأتمزق تمزّقاً!".

وبنبرة حزينة رد عليه الحاج:

- "للأسف لا يوجد قطار في البلاد".

ففكر سداس بطريقة الموت المثالية، وقال:

- "ما رأيك أن تعطيني بارودة جدي عبود؟ وأعدك بأن أزرع رصاصة في قلبي وأنزف عشقاً أحمر".

ضحك الحاج:

- "ها ها ها، وهل أنا أحمق لأترك بارودة الشيخ تقع بين يديك!!".

فيرد عليه قائلاً:

- "أولاً، بارودة الشيخ حق شرعي لي، وأنا تنازلت عنها لأنك والدي... والمثل يقول (والدك وما يملك لك لأنه أبوك)".
- "الله لا يرضى عليك! أنت (غضيب) الوالدين".

يفكر سداس قليلاً ويقول:

- "بعد تفكير عميق قررت ألا أموت كي لا أرى دموعك تسقط من عينيك كزخات المطر حزناً على فلذة كبدك! الذي هو أنا!".

يستهزئ الحاج ويرد عليه:

- "لك وعدٌ مني، إن متّ لن أذرف دمعة واحدة عليك. توكل على الله واذهب للموت!".
- "لا يصح أن أموت وأرمِّل جميلة! حرام البنت لم تفرح بالعريس لتصبح أرملة".

يشجعه الحاج:

- "لا تهتم! دعها تترمل!".

– "إذاً، ليكن ما تريد يا والدي العزيز، ولتترمل جميلة الجميلة بعد موت زوجها أنا! ولتبكني كما بكت (جولييت) حبيبها (روميو)! ولكن ليصح ذلك يجب أن أتزوجها وأموت لتترمل، أليس كذلك يا حاج؟؟!

قنط الحاج وهيأ نفسه لإنهاء هذا الاجتماع الذي أوصله إلى طريق مسدودة، وقال قبل خروجه:

– "ألديك موّال غير هذا الموّال لتغنيه يا سداس؟".

يبرم سداس شاربه ليعلن أنه لن يتنازل عن حبيبته:

– "اختصاراً للحديث، لن أتنازل عن حقي في مزرعة التلة، حتى لو كلفني الأمر حياتي، والحُر لا يسكت عن حقه، ولا أريد أن يقول الناس إن سداس حفيد شيخ العرب لم يسترد حقه!".

انعقد لسان الحاج أمام المنطق السداسي وادعائه بحق له في مزرعة الأحمدي وتهديده ووعيده، صمت قليلاً ثم قال:

– "لا حول ولا قوة إلا بالله! حقك في ماذا أيها المعتوه؟ مزرعة التلة ملك للأحمدي منذ مئات السنين، وتوارثوها أباً عن جد، وهي لا تشبه حصان جدك عبود الذي أقنعت نفسك بأنه ملك لك، وأعمامك سرقوه منك".

بهدوء وثقة رد عليه سداس:

- "(روِّق وهدِّي يا حج!) لا داعي للانفعال، لا أريد أن يصيبك مكروه - لا سمح الله - فتترمل شفيقة قبل زواجي من جميلة! لنتحاور بالمنطق والعقل، أنت ابن شيخ شيوخ العرب وأنا حفيده، ولسنا بحاجة إلى من يعلمنا ما هو الصحيح، وبالحجة والدليل سأقنعك أو تقنعني، اتفقنا يا حاج نخري؟".

الحاج يعض على أسنانه:

- منطق ماذا أيها المغفل؟

اعتدل سداس في جلسته، وأخذ يسرد تاريخ مزرعة التلة وعائلة الأحمدي وكيف توارثتها العائلة عبر الزمن حتى ورثها شفيق الأحمدي، وكان بين كل جملة وأخرى يردد:

- "(مزبوط) يا حاج؟"

ودون فهم الحكمة من وراء هذا السرد الطويل الممل يرد الحاج:

- "نعم صحيح".

وأردف سداس قائلاً:

- "وبعد موت شفيق ورثت سلمى المزرعة لعدم وجود ذكور، (مزبوط) يا حاج؟".

- "نعم صحيح".
- "إذاً، سليم الأحمدي لا علاقة له بالمزرعة، (مزبوط) يا حاج؟".
- "نعم صحيح".
- "إذاً، لقد اتفقنا على أن المزرعة ملك فقط لسلمى الأحمدي، مزبوط يا حاج؟".
- "نعم صحيح".
- "وهنا وصلنا إلى بيت القصيد، المنطق يقول ما دامت المزرعة لها فأنا أحق الناس بها، والأستاذ سليم دخيل ومعتدٍ على حقوقي التي شرعها الله سبحانه وتعالى، (مزبوط) يا حاج؟".

الحاج يرفع يديه ويفغر فاه:

- "يلعن أبوك! يلعن أمك! مش مزبوط !! أنت مجنون!!".

وشعر برغبة ملحة في النظر إلى عيني ولده ليتأكد إن كان يتلاعب به، أم أن الحمق لم يترك مكاناً للعقل، فسأله بهدوء:

- "وما علاقتك بسلمى والمزرعة؟ أين المنطق في هذا؟".

وصاحب المنطق السداسي يرد عليه:

- "في المنطق ولا شيء غير المنطق، سلمى الأحمدي أمي، وأنا أحق الناس بمزرعتها، هذا ما يقوله الشرع، أم أنك ستخالف الشرع يا حاج؟!".

تتقد عينا الحاج غضباً ويقول:

- "هذا شرع المجانين من أمثالك!! أستغفر الله العظيم! وكيف صارت سلمى أمك؟ الله لا يوفقك؟!".
- "(روق يا حاج) ودخن سيجارة، وسأبسط لك الأمور لتناسب استيعابك الخفيف للمنطق، أنت قبل أن تغمزك شفيقة بين الزيتون كنت عاقداً العزم على الزواج من ماما سلمى، ولو حدث هذا لكنت أنا ابنها البكر، أفهمت؟ أم أشرح لك وأزيد في المنطق؟".
- "هذا كلام كُفر! والله سيحاسبك عليه يوم القيامة، خاف الله! لست أنت من تحدد من تكون والدتك!".

برم سداس شاربه وأمسك حلمة أذنه اليسرى وفركها بقوة، وحك رقبته ورأسه واعتدل في جلسته وقال:

- "صلِّ على النبي وزيد النبي صلاة، أنا أمازحك يا والدي، ولا تنسَ أني حفيد الشيخ عبود، رضعت الحق وتقيأت الباطل في

مجلسه، رحمة الله عليه، وإني لأشهد ألا حق لي بذرة تراب من مزرعة الأحمدي، وأدعو الله أن يجنبني وإياك مال الحرام".

تنفس الحاج الصعداء، ودعا الله أن يكون ابنه قد استعاد رشده. أمسك سداس بيد والده وقبلها ورفعها لتلامس جبينه وقال:

- "رضاك عليّ أهم من مال الدنيا يا حاج، ورضا الله من رضا الوالدين".

الحاج يعلم جيداً أن ابنه لا يعرف المزاح، ولكنه يجاريه:

- "الله يرضى عليك يا بُني ويهديك، وأتمنى ألا تمازحني مرة أخرى بهذه الطريقة".
- لا تخف يا حاج، جدي علمني أن أطلب المستطاع لكي أطاع... ولن أطالب الأحمدي إلا بشرع الله فقط، وأنت ستآزرني، مزبوط يا حاج؟".

يتأفف الحاج:

- "هل ستعود مرة أخرى إلى الهبل وحقك في المزرعة؟!".
- أستغفر الله العظيم! لا حق لي في المزرعة، ولن أخالف شرع الله، ولكن الشرع يقر بأن لأولادي حقاً فيها، وأنا لن أفرط

بحق فلذات كبدي، فخري الصغير وإخوته، وإن قلت إنه لا حق لأولادي فإنك تكون مخالفاً لشرعِ الله، مزبوط يا حاج؟".

لا ينجح الحاج في كتم غيظه:

- "أولاد مَن! وحق مَن! ألديك أولاد لتورثهم مال الناس؟! أين شرِع الله في هذا؟!".

يمتعض سداس من رد والده ويقول:

- "لا يعقل أن أعلمك شرِع الله! وأنت (حجيج) رقم واحد، رايح جاي على مكة... هبلتنا معك بالحجيج الشهري!! المهم أولادي أنا هم أحفادك... لحمك... ودمك... وأمهم جميلة بنت سلمى ومن العيب أن تتخلى عن حق أحفادك...".

الحاج انتصبت أذناه على صراخ أحفاده السداسيين وقال:

- "كل داء له دواء إلا سداس أعيا من يداويه! أنت بخيالك تزوجت جميلة وأنجبت منها صبياناً وبنات!".

وبهدوء يرد عليه:

- "بالنوايا الحسنة والحلال فقط يا أبتِ! أنا لا أحب الحرام تحت الزيتون... وحينما عشقتها قلت (زوجتك نفسي يا جميلة الجميلة) ولم يتبق إلا أن تقول هي (زوجتك نفسي يا حبيبي يا

سداس)، وبعدها نشهر الزواج حسب العادات والتقاليد، وتنجب لي نخري الصغير وإخوته، وللعلم أنا لا أحب البنات، والمثل يقول (البنات هم وممات)".

تلح عليه رغبة في أن يرقص فوق كرش سداس، ولكنه يتمالك أعصابه ويقول:

- "خذوا الحكمة من أفواه المجانين! ولنفترض أن جميلة لم تقل زوجتك نفسي، يا حمار يا ابن الحمار! وتزوجت آخر؟؟".
- "لا تقلق يا والدي، لن يجرؤ أحد على الاقتراب منها، وخاصة بعد معرفتهم بقصة الحب التي جمعتنا، والباقي عندك يا حاج".

ويكرر الحاج ما سمعه من والده المرحوم عبود ويقول:

- "الله لا يوفقك! أعراض الناس ليست لعبة تتسلى فيها! أتنوي فضحنا أيها المعتوه؟!".
- "معاذ الله يا حاج، وأنا أعدك بقطع لسان كل من يتطاول على زوجة ابنك جميلة، وعليك بالعد كم لساناً سأقطع".

الحاج يحدث نفسه:

- "سامحك الله يا شيخ عبود، لو وافقتني لقتلنا هذا الأحمق منذ سنوات وأرحنا العباد من جنونه!".

كان مضطراً إلى مجاراته للكشف عن خبايا نفسه، فسأله:

- "لنفترض أن الأستاذ سليم لم يوافق على زواجك من ابنته، ماذا ستفعل؟".

رد عليه سداس بامتعاض:

- "سؤالك ليس في مكانه المناسب، والأصح أن تسألني إن كنت موافقاً على الزواج منها!".

الحاج ساخراً:

- "هل توافق يا شيخ سداس على الزواج من مزرعة التلة وجميلة، أم يجب التوسل إليك لتفعل!؟".
- "بصراحة، أنا متردد ومنزعج من كلام الناس، والقصص التي يرددونها يومياً، تصور إن بلغت الوقاحة حد الادعاء أن جميلة حامل مني...! ولكني شهم ابن شهم، لن أعصي لك أمراً وسأتزوجها، والمهر وتكاليف الزفاف على حسابك، لنتوكل على الله وسأترك لك ترتيب الأمور.

الحاج يفرك وجهه ليمسح عنه ما التصق به من غبار كلمات سداس، خاصة بعد أن أصاب عينيه الكسل والنعاس، وارتخى جفناه، وتدلت شفتاه، وبصوت يائس مستسلم قال:

- "أنت مجبول من طين شياطين! أشك في أنك ولدي!".

سداس لا يروقه هذا الفتور الذي أصاب والده، وكان لا بد أن يبعث فيه الحماس من جديد فقال:

- "أيعقل أن يبتسم لي الحظ ويتبين أني ابن الأستاذ سليم وأرث المزرعة، وكفانا الله شر القتال، مزبوط يا حاج؟"

كان لوقع كلماته بالغ الأثر في إعادة الحماس، واختفاء النعاس، وتصلب الشفتين بعد ارتخاء، فصرخ بأعلى صوته:

- "الله يغضب عليك حتى أمك لم تسلم من لسانك يا سافل!"

استدار ولسانه يلعن الوسواس الخناس، ويستغفر الله عما تلفظ به ابنه من كفر.

لم يرق للشيطان أن يشتمه الحاج، وكان عليه أن يذكّره أنه هو قد استولى على أموال الناس وأراضيهم بغير وجه حق، فرد الحاج على صوته الباطني وتمتم:

- "نعم، أنا أخطأت، ولكني غسلت ذنوبي وحججت أكثر من عشرين مرة، ولا يمكن أن أتشبه بهذا الكافر اللعين!".

كاد الشيطان يخرس أمام الرد المقنع ولكنه هزئ منه وقال:

- "توقف عن النواح يا حاج نخري، اعترف بأنك حاسد لهذا السداس! ولو ملكت ربع جنونه لنعمت بجمال سلمى، وملكت أكبر مزرعة في البلاد، وما كنت بحاجة إلى الحج أكثر من مرة واحدة لتغسل كفرك المر، أما ابنك، فكفره لذيذ (وطلع أشطر مني ومنك يا نخري!)".

أخذ الحاج يدمدم:

- "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!"

أسكتَ صوت الوسواس وتوضأ وصلى، دون أن يفارقه سؤال واحد:

- "كم هي المساحة الحقيقية للمزرعة، ألف وتسعمائة دونم أم أكثر؟".

سداس العاشق الولهان

انطلق سداس في رحلة الحب والغرام، وقال جملته السداسية الشهيرة:

– "إن كانت جميلة داءً فأنا الدواء!"

وادعى أيضاً أنه هو من قال "أنا الذي نظر الأعمى إلى حبي... وأسمعت الأصم دقات قلبي"، وعاش قصة حبه الفريدة مشرقاً ومغرباً، ونظم الشعر وتغنى بجمالها، وحبه لجميلة كبُر وعظُم دون أنْ يراها... وبعد المراقبة والمتابعة والترصد استطاع أنْ يراها من بعيد، وهام في حبها بجنون، ليكتشف بعد شهر أنَّ من رآها هي ابنة عمها، فقال جملته السداسية "ما أحلى من بنت العم إلا بنت العم".

وفي المحاولة الثانية شاهد حبيبة القلب، وتأكد أنها هي وليست ابنة خال أو جار، والتصقت صورتها بمخيلته وفي قلبه، وغرق في حبها حتى النخاع، وأخذ يراقبها ويطاردها أينما حلت، وقصائد الغزل والحب تعترض طريقها وتطير إليها كل يوم.

شبح العشق السداسي طارد جميلة ومنع عنها نظرات المعجبين، بعد أن جمعهم حظهم التعس بالعاشق الغيور على عرضه وشرفه، وأرسلهم إلى طوارئ المستشفيات. وفي كل أسبوع كان يرسل من يطلب يدها، والرد

كان الرفض بلا نقاش، حتى أنَّ الأستاذ سليم علق لافتات على مداخل المزرعة كتب عليها "الرجاء أن يعود أدراجه كل من هو قادم من طرف سداس".

وجميلة التي فقدت حريتها بسبب ملاحقته لها في كل مكان، والمشاكل التي يفتعلها مع كل من يتجرأ على النظر إليها ما عادت تخرج من المزرعة إلا للضرورة، وبمرافقة أحد أفراد العائلة، وما عاد العاشق قادراً على إيصال رسائل الحب والغزل إليها كالسابق.

الخصم اللدود

ومَنْ مِنَ الممكن أن يستفيد من هذه التعقيدات الطارئة غير رزق الوسيم، اللعيب، العنيد، ورزق هذا لا يتنازل أبداً عن المشاركة في أي لعبة مهما كان نوعها، وشعاره "يا لعّيب يا خرّيب" ولا يردعه كف ولا (شلووط)! وعناده وإصراره هذا أكسبه شهرة كادت تفوق شهرة سداس، منذ نعومة أظفاره، وجعل كل من حوله يتبعون الطرق المختصرة، والسماح لرزق بالمشاركة في أي لعبة بدلاً من قضاء الوقت في إصلاح تخريبه... كبر رزق وبقي متمسكاً بشعاره، وكل شيء من وجهة نظره لعبة، وفرض نفسه على كل اجتماعات البلدة، للكبار والصغار، وفي أي موضوع كان، إما المشاركة وإما التخريب، وبهذا أصبح لقبه اللعيب... وبما أن رزق يتابع كل صغيرة وكبيرة في بلدة التلة؛ كي لا تفوته لعبة، كان يتتبع كل أخبار خصم الطفولة والمدرسة والشباب، ولم يشعر سداس يوماً بأن هناك "أعند" منه سوى رزق، وعلى الرغم من ضربه إياه عشرات المرات، فإنه لم يرضخ وبقي متمسكاً بشعاره...

يتمشى سداس في الطريق القريبة من المزرعة، متكدراً شارد الذهن، يبحث عن أي طريقة توصله إلى الحبيبة. اقترب رزق اللعيب منه حذراً،

فما كان ليخاف منه ولكنه حريص على تجنب أي شجار مع شقيق حبيبته وقال:

- "كيف حالك يا أبو نسب؟".
- "ماذا تريد يا لعيب؟ لا يوجد لعبة تلعبها أو تخربها؟".
- "يا أخي، أريد رضاك فقط لا غير!".
- "لن أوافق على زواجك من أختي، هذه ليست لعبة تشارك فيها!".
- "وأنا أقول لك سأشاركها حياتي وأتزوجها على سنة الله ورسوله، ولن أتنازل حتى لو ضربتني كل يوم".
- "اليوم ليس لدي مزاج لضربك، اذهب وتعال غداً لأضربك".

عرض رزق اللعيب عليه المساعدة في إيصال رسائل الحب إلى جميلة مقابل موافقته على زواجه من عفاف، وعلى الرغم من أنه لا يحب أن يساومه أحد على شيء، فإنه يعلم أن رزق يملك علاقات داخل المزرعة تُمكّنه من الوصول إلى جميلة في أي وقت، فقال:

- "سنعقد اتفاقاً على مراحل، توصل أنت الرسائل، وأنا سأحاول قدر المستطاع ألا أضربك، ولاحقاً سأدرس إمكانية زواجك من أختي، على الرغم من أنني لن أحبك يوماً".
- "وأنا أيضاً لا أحبك ولكني سأمتنع عن تخريب أي لعبة تلعب فيها، لأنك يوماً ما ستكون خال أبنائي".

وبدأ رزق ينقل عشرات الرسائل سراً لجميلة في المزرعة، وهي على الرغم من سمعة سداس السيئة فإنها كانت معجبة بإصراره وعناده، والقليل من جنونه، وبشوق ولهفة كانت تترقب رسائله وما فيها من شعر موزون لا يكتبه إلا شاعر كبير، ومن فوضى وكلمات غبية تدفعها إلى الضحك".

صخرة الحب والحرامية

اعتاد سداس الخروج ليلاً إلى منطقة في أطراف التلة تسمى العنابة، فيها عدة مزارع للأغنام والدجاج والعجول... وهي تطل من بعيد على مزرعة التلة حيث تسكن معشوقته جميلة الأحمدي، يجلس على صخرة كبيرة أطلق عليها اسم صخرة الحب، يناجي حبيبته هناك وينظم فيها الشعر الموزون و"الأهبل"...

وفي إحدى ليالي العشق، لمح من بعيد ظلاً يتسلل بخطوات حذرة باتجاه المزارع، وأخذ يراقبه من أعلى الصخرة ليتبين صاحبه، وحينما اقترب أكثر اتضح أنه ملثم ويحمل على كتفه ربطة من الحبال، ومن هيئة جسده أيقن أنه الحرامي أبو صقر من قرية الدباشة...

وما إنْ مرت دقائق حتى لمح ملثماً آخر يتسلل من اتجاه آخر، وعرف أنه الحرامي نعمان من قرية الدباحية... ومن أعلى الصخرة حيث تربع أخذ يراقبهما بعيني بومة، والتقى اللصان أمام بوابة مزرعة الأغنام وأخذ كل منهما يصرخ في وجه الآخر ويطلب منه الرحيل، وضج المكان بالصراخ، ونشب بينهما عراك بالأيدي، راقب العاشق عراك اللصوص حتى مل، ثم نادى عليهما:

- "صلوا على النبي يا حرامية... وحدوا الله! صوتكم عالي وأزعجتوا الخلق! والمثل بقول "اسرق مالهم ولا تزع منامهم!".

استجمع اللصان على الرغم من الخوف الذي اعتراهما من الصوت المجهول القادم من أعلى الصخرة المعتمة ما تبقى من شجاعتهما وبصوت واحد قالا:

- ومن تكون؟ هل أنت حارس المزارع أم ماذا؟

امتعض سداس وقال:

- "من قلة الأدب أن تبدأ الكلام قبل أن تطرح السلام! وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، لست حارساً، لا تخافا أيها اللصان المحترمان، أنا عاشق ولهان ولا أحب المزعجين. والمثل يقول (ازعج ناسك ولا تزعج عاشق)".

شعر اللصان بالقليل من الارتياح، فنبرة صوت الظل الذي يخاطبهما تدل على أحمق، فقال اللص أبو صقر:

- "وماذا تفعل هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ هل أنت لص مثلنا أم ماذا؟".

فرد غاضباً:

- "وبعدين معك يا صقر أنت ونعمان!" أنا لست بحارس ولا لص، أنا عاشق ولهان! هيا تسلقا الصخرة وتعالا إليّ لأفهم أسباب شجاركما، وأيضاً لآخذ رأيكما بالشعر الذي نظمته في حبيبتي".

احتار اللصان في أمر هذا الغريب الذي كشف عن هويتهما في الظلام ومن خلف اللثام، واعتراهما الخوف، حتى خيل إليهما أنه قد يكون من الجان، فسألاه بصوت مرتعش:

- "وكيف عرفت من نكون؟! هل أنت من الجان أم ماذا؟".

فأجابهما:

- "لا ماذا ولا هذا! عرفتك يا نعمان من كرشك، وأنت يا صقر من حدبتك، ولا يوجد "حرامي" في هذه البلاد لا أعرفه، لا تخافا! تعالا لأصلح بينكما حتى تعودا لبناً على عسل".

امتثلا إلى ما طلب منهما، واستغرقهما تسلق الصخرة عدة دقائق حتى وصلا أعلاها، ووقفا يتفحصانه من أخمص قدميه إلى أعلى رأسه، وعيونهما تتساءل من يكون غريب الأطوار هذا وماذا يبيت لهما، فقال لهما:

- "أهلاً وسهلاً بكما أيها اللصان المحترمان على صخرة الحب والغرام، اليوم زارني الإلهام وكتبت قصيدة لم يكتبها عنترة في عبلة، وإزعاجكما سرقها من رأسي".

ثم أشار بيده باتجاه مزرعة التلة البعيدة، وتابع:

- "هناك تسكن حبيبتي وسأتزوجها يوماً ما، ولن أدعوكما إلى زفافي، لأنكم لصوص وحثالة. والآن حدثاني عن أسباب الخلاف، لأحكم بينكما بالحق والعدل، لأن جدي رحمه الله كان شيخ شيوخ العرب، ولم يعجز عن حل أي خلاف، وأنا سأصبح مثله قريباً بعدما أتزوج حبيبتي جميلة".

نعمان:

- "من الواضح أننا لن نسرق شيئاً بوجودك يا حفيد شيخ العرب، لذا لم تعد هناك أسباب للخلاف".

سداس:

- "لا لا! قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق... أنا لن أكون سبباً في قطع أرزاق الناس. ولكن قبل ذلك يجب أن أصلح بينكما".

شعرا بالارتياح لأنهما لن يعودا خاليي الوفاض، بعد أن تأكدا أن هذا الغريب لا ينوي اعتراض طريقهما، وفكر كل منهما منفرداً بأن يكسب هذا الأحمق لصفه، فقال أبو صقر:

- "أنا منذ شهر أخطط لسرقة الخراف من هذه المزرعة، والسيد نعمان جاء اليوم ليزاحمني على رزقي!".

يبرم سداس شاربه ويقول معاتباً:

- "عيب عليك يا نعمان أن تزاحم اللصوص على أرزاقهم! وهذه ليست من صفات "الحرامي" المحترم! والمثل يقول (حرامي حسود لا يسود)".

يرد الحرامي نعمان تهمة الحسد عنه ويشرح موقفه:

- "أولاً الأرزاق على رب العالمين، والتخطيط المسبق لن يزيد من رزق أحد، لقد وصلت المزرعة قبله، ولم أرَ لافتة كتب عليها ممنوع السرقة محجوز لسارق آخر...!".

رد الحرامي نعمان كان مقنعاً لسداس، فقال:

- "معك حق والمنطق فيما تقول، وهناك مثل عربي يدعم حجتك وهو (الحرامي الذي يسبق يفوز بالغنيمة)، ومع هذا يتوجب

علي أن أطلب منك أن تثبت أنك وصلت قبل الحرامي أبو صقر لأحكم لك بأنك أحق منه بالسرقة".

شعر اللص أبو صقر بأنه سيخسر أمام نعمان فاغتاظ وقال:

– "أقسم بالله العظيم، أني وصلت قبله إلى هذه المزرعة!".

حك سداس رأسه وأخذ يفكر قائلاً:

– "حلفان اليمين مقبول لدي، واليمين على اللص الذي ادعى! لكن يتوجب عليك يا أخ أبو صقر، أن تحضر والدك أو عمك ليحلفا معك أنك وصلت قبله، لأحكم لك أنك أحق بالسرقة منه".

ما قاله سداس استفز نعمان فقال:

– "وأنا أقسم بالله العظيم أني وصلت قبله".

وهنا تعقدت الأمور في وجه الشيخ سداس إن قبل اليمين من الأول لا يجوز رفضه من الثاني، فقال:

– "سأقبل بيمينك أنت أيضاً ما دمت ستحضر أحداً من أهلك ليحلف معك".

أخرج نعمان لسانه بحركة استهزاء من أبو صقر الذي رفع إصبعه الأوسط وأشار به إليه، وتبادلا الشتائم وارتفع صراخهما من جديد، فانفعل

سداس واعتراه الغضب، ولكنه تمالك نفسه وامتنع في اللحظة الأخيرة عن ضرب الاثنين بعد أن أدرك أنه لا يجوز للقاضي ضرب المتقاضين لديه وقال:

- "اللعنة عليكما! لقد أفسدتما المثل العربي الذي قال (ما شافوهم بسرقوا شافوهم بتقاسموا) ولم تسرقا بعد حتى تتقاسما، وهنا يتوجب علي اختراع مثل يلائم هذا الوضع".

فكر قليلاً بالمثل الذي سيكون بديلاً للمثل السابق وقال:

- "(قبل أن يسرقوا عضوا بعض!) وقد قررت بعد تفكير عميق استحالة الحكم بينكما بالحق والعدل وما يرضي الله باعتماد يمين أحدكما، وذلك لأني تذكرت أن أحد العرب قد قال وليته ما قال ولكنه قال: (قالوا للحرامي احلف يمين، قال جاءني الفرج) وعليه يتوجب أن يستدعي كل منكما شاهداً صادقاً أميناً مشهوداً له بالأخلاق الحميدة، ليشهد أمامي أن أحدكما قد وصل قبل الآخر لسرقة المزرعة، وعندها سأحكم له بالعدل، ومن يحضر شهوداً أكثر سيربح القضية.

قال اللصان بصوت واحد:

- "ومن أين سنأتي لك بالشهود يا حفيد شيخ العرب؟! ما بك؟ هل تود فضحنا؟ ابحث لنا عن حل آخر".

سداس:

- "أنا شخصياً أعرف من وصل أولاً، ولكن لا يجوز لي أن أشهد لصالح أحدكما، حتى لا يقول الناس (قاضيها حراميها)".

رد الحرامي نعمان عليه:

- "هذا المثل لا يناسب الوضع القائم!"
- "معك حق سأقوم بتعديله، (لا يشهد قاض الحرامية مع حرامي ضد آخر). هكذا أصح، أليس كذلك؟

قال الحرامي أبو صقر:

- "عجّل يا شيخ، وجِد لنا حلاً قبل أن تشرق الشمس؟".

ينظر سداس باتجاه الشرق باحثاً عن الشمس ويقول:

- "سأقترح عليكما أن يأخذ كل نصيبه من السرقة، والمثل يقول (نص البطن يغني عن الشبع)".

يرد نعمان:

- "لا لا لا! لن أشارك أحداً في رزقي وتعبي!".

ويؤكد أبو صقر:

- "وأنا أيضاً لن أشارك أحداً في رزق".
- "سأقترح عليكم أن نتوحدا في عصابة واحدة مثل بقية اللصوص المحترمين، والمثل يقول (يد تغسل الأخرى بالصابون والاثنتان تسرقان معاً)".

يرد نعمان:

- "هذا الحل لن ينجح أبداً، لأن مبادئه تتعارض مع مبادئي".

يهز سداس رأسه قائلاً:

- "معك حق، المثل العربي يقول (إذا اختلفت المبادئ سرقوا البلد وماتت الدجاجة!)".

ثم وجه كلامه إلى أبو صقر:

- "أخبرني ماذا كنت تنوي أن تسرق من هذه المزرعة؟".
- "أنا مبادئي سرقة الخرفان فقط".
- "وأنت يا نعمان، ماذا كنت تنوي أن تسرق منها؟".
- "أنا مبادئي سرقة الماعز فقط".
- "إذاً، الحل بسيط، أنت تسرق خراف هذه المزرعة، وهو يسرق ما فيها من ماعز، ولا حاجة لأن يغير أحد مبادئه، أو ينظر إلى

رزق الآخر، والمثل يقول (السرقة فن وذوق، مبادئ وأخلاق!)".

- "أنا موافق على الاقتراح".
- "وأنا أيضاً موافق".

يرد سداس عليهما:

- "أنا لست موافقاً على هذا الاقتراح ولن أسمح لكما بسرقة الماعز والخراف من هذه المزرعة؛ لأن المثل يقول (إذا قتلت اقتل فيل، وإذا سرقت اسرق شيئاً كبيراً)، لدي اقتراح أفضل، في المزرعة المجاورة عجول ليسرق كل منكما عجلاً ويذهب في حال سبيله، والمثل يقول (اسرق عجل ولا تسرق خروف)".

يرد الحرامي أبو صقر:

- "العجول يصعب إخفاؤها والتصرف فيها".

سداس:

- "تدبر أمرك... اسرق عجلاً وتسهّل ولا تمهل!".

نعمان:

- "أول مرة أسمع بهذا المثل".

سداس:

- "وأنا أول مرة أخترع هذا المثل".

وفي محاولة لاستعطاف سداس قال نعمان:

- "والله، أنا أشتهي أن أسرق ماعزاً، وأخي أبو صقر يشتهي أن يسرق خرافاً.... اسمح لنا هذه المرة فقط، ونعدك في المرة المقبلة أن نسرق عجولاً".
- "للأسف لا أستطيع السماح لكما بسرقة هذه المزرعة، والمثل يقول (ليس فائزاً من ترك العجل وسرق الماعز)".
- "توكل على الله واتركنا نسرق هذه المزرعة، والمثل يقول (من يسهِّل للحرامية يربح هدية)".
- "لن أسمح لكما، هيا تحركا، وفي الحركة بركة، المثل يقول (اسرق عِجلاً على عَجل)".
- "يبدو أنه لا نصيب لنا في السرقة هذه الليلة".
- إذاً، توجها إلى مزرعة الدجاج وليأخذ كل منكما عدة دجاجات حتى لا تعودا خاليي الوفاض، والمثل يقول (دجاجة حفرت على رأسها عفرت)".
- "سرقة الدجاج للسارقين المبتدئين، عار علينا فعلها!".

تأفف سداس وقال:

- "وهل يرضيكما أن ينطبق المثل العربي عليّ أنا!؟ وأنزعج كثيراً!؟ لا تحاولا إقناعي بسرقة هذه المزرعة".
- "ولماذا تنزعج إن سرقنا هذه المزرعة ولا يزعجك سرقة بقية المزارع".
- "لأن مزرعة العجول لأبي إسماعيل، والدواجن للمختار، ومزرعة الخراف والماعز للحاج نخري، وأنا ابنه سداس، والمثل يقول (المال مال أبوه وترك الحرامية يسرقوه!) بالطبع سأنزعج من نفسي، أفهمتم أيها الحمير؟"

وقع اسم سداس كالرعد على مسامعهما، وعلما أن ورطتهما كبيرة، ومثل هذا الجنون يؤكد أنه سداس ذائع السيط في كل البلدات، وقالا معاً:

- "السلام عليكم".

وأدارا ظهريهما للابتعاد سريعاً...

- "لن أسمح لكما بالانصراف قبل أن يسرق كل منكما عجلًا! أنا حفيد شيخ العرب عبود، ولا أريد أن يقول الناس إني قطّاع أرزاق، مع أني لا أمانع بقطع الأعناق".

اللصان يعيان أن سرقة العجول ستتسبب بالقبض عليهما لا محالة، فأخذ كل منهما يفكر في طريقة للنجاة من هذا المأزق على حساب الآخر، فقال نعمان:

- "لقد تعلمت منك الكثير يا شيخ سداس، وقررت ألا أنظر إلى رزق غيري، وأعترف أمامك بأن أبا صقر أحق مني بالسرقة؛ فهو قد خطط لها مسبقاً، وأيضاً وصل قبلي، فليطرح الله له البركة بما سيجرّه خلفه من عجول! والسلام عليكم ورحمة الله!".

يسارع أبو صقر لينقذ نفسه من ورطة العجول:

- "أنا أعترف بأني لم أخطط، وأن أخي نعمان قد سبقني إلى المزرعة وهو أحق مني، فليطرح الله له البركة".

يعجب سداس بصدق اللصين ويقول:

- "أنا أحترم اللص الصادق الأمين، ومكافأة مني لك يا نعمان سأسمح لك بسرقة عجلين! الأول حقك والثاني مكافأة لصدقك وأمانتك، والمثل يقول (الحرامي الكاذب يسرق عجلاً واحداً والصادق يسرق عجلين!)".

نعمان يصرخ بأعلى صوته:

- "أنا كاذب! لست صادقاً ولا أميناً! ويتوجب عليك أن تطردني وتعطي المكافأة لأخي أبي صقر الذي لم يكذب في حياته".

يسرع الحرامي أبو صقر ليقطع عليه الطريق قائلاً:

- "عيب عليك يا نعمان، أن تعترض على قولة الشيخ سداس حفيد شيخ العرب! خذ العجلين وتسهّل! هذا حقك، وأنا ذاهب، السلام عليكم".
- "تعال يا أبو صقر، كلامك الموزون دغدغ مشاعري، ومن يجيد احترام الشيوخ يستحق المكافأة، هيا اذهب واسرق ثلاثة عجول! والمثل يقول (كلمات الحرامي الموزونة تساوي وزنها عجولاً)".

أبو صقر كان يعلم أن عجلاً واحداً يكفي لفضحه والتسبب بسجنه، وكيف الآن وهو عالق بين سداس وثلاثة عجول، استأذن اللصان للتشاور وابتعدا قليلاً وتهامسا، وقررا أنه لا بد من الهرب قبل أن يخطر على بال الشيخ مَثلٌ يتسبب بموتهما، مِثل (اذبح..) فيذبحهما! عينا سداس تلاحقهما وتعد أنفاسهما فنادى عليهما قائلاً:

- "أنا حفيد الشيخ عبود، ولا حاجة إلى أن أسمع همساتكما لأعرف أنكما تخططان للهرب... (واللبيب بالإشارة يفهمُ!)

ولا أجد مبرراً لهربكما مني بعد هذا الكرم، وعليه فقد قررت إعطاء فرصة لأحدكما للاعتراف بالحقيقة، فأكافئه بالعجول والثاني لأعاقبه".

وصرخ أبو صقر لعله ينجو من المكافأة وينال العقاب:

– "اعترفْ يا نعمان، اعترفْ! أنت أحق مني بالمكافأة".

رد عليه نعمان:

– "أنا لا أخون صديقي لأعترف عليه، اعترفْ أنت يا أبو صقر، (ويلعن أبوي إذا بزعل)".

دمعت عينا سداس وقال:

– "لقد تأثرت كثيراً بهذا الوفاء! وأن أحدكم يحب لأخيه أكثر مما يحب لنفسه، وعليه سأكافئكما... مكافأة لك يا أبا صقر اسرق خمسة عجول... وأنت يا نعمان خمسة أخرى وفوقها بقرة...! سأمنحكما ربع ساعة لسرقة ما هو حق لكما والانصراف، والمثل يقول (الحرامي البطيء راحت عليه...!) وكل دقيقة للحرامي تساوي ثمنها دجاجة، وتذكرا أن عجول الشيوخ لا تباع ولا ترد، ورحمة جدي عبود إن اكتشفت أنكما هربتما خالي الوفاض

لأطلّقن جميلة قبل أن أتزوجها، وأعلن الحداد، وأطاردكما في البلاد.

أيقن اللصان أنه لا مفر أمامهما إلا الانصياع وسرقة العجول لتجنب غضب سداس وعدائه لهما.

عاد سداس إلى البيت وفي طريقه توقف بجانب بيت أبو إسماعيل ونادى عليه:

– "مساء الخير يا جار، اللصوص سرقوا عجولك، تصبح على خير!".

ووصل إلى البيت ونام وكأن شيئاً لم يحدث. قُبض على اللصين، وانتشرت القصة بين الناس واشتهر سداس بلقب قاضي الحرامية.

شفيقة تخطط

مرت الأيام وما زال سداس غارقاً في الحب والغرام، والشعر والهيام، وأوضاعه النفسية والمعنوية لا تروق لشفيقة، فأشفقت على حاله، فهو لا ينام الليل ولا يأكل كعادته... ففكرت لعلها تجد طريقة تساعد فيها ابنها الوحيد، غمزة شمال... غمزة يمين... بلا فائدة، لم تخرج الفكرة، وفكرت وفكرت... غمزة شمال... غمزة يمين... ووجدت الفكرة العبقرية!

فذهبت لتخبر "سداس" بها:

- "لدي خطة لتزويجك حبيبة قلبك".
- "الله يستر من خططك يا شفيقة!"
- "لا تخف! هذه خطة مضمونة ومتكتكة صح".
- "أعرف أنها متكتكة... انتبهت لغمزات التكتيك، ما هي الخطة يماااا؟".

اقترحت عليه أن يطلب من أصدقائه اللصوص سرقة بغل الأستاذ سليم، ويقوم هو بإعادته له وهكذا سيحبه ويزوجه ابنته، فرد عليها:

- "ما رأيك أن تريحي نفسك من غمز التكتيك وتكتفي بغمز التفكير وتبحثي عن خطة أخرى؟"

فتقول له إن هذه الخطة مجربة ومضمونة، ففي الماضي والدها أبو هاشم رفض زواج خالته سعاد من أبو نبيل، فسرق بغله ثم أعاده إليه، وكافأه وزوّجه منها، فرد عليّ:

- "جدي أبو هاشم معاه حق، البغل كان أغلى من كل بناته! ولكن خطتك مع والد جميلة لن تصلح! الأستاذ سليم ليس لديه بغل، وأنا ليس لدي أصدقاء لصوص يما".

فأخبرته أنها سمعت بأن له أصدقاء من اللصوص ساعدهم على سرقة العجول، فحاول أن يشرح لها أنه يشبه جده، وكل ما قام به هو الإصلاح بين اللصوص المحترمين، فردت عليه:

- "لا يوجد لص محترم".

فقال لها:

- "أبوي الحج فخري محترم يماااا!".

جميلة الأحمدي أم فخري

مر العام الثاني، ونصف العام الثالث، على قصة عشق سداس لجميلة دون أن يكل أو يمل، وكل ما أطلقه من قصص وإشاعات حول علاقتهما لم تشكل أي ضغط على الأحمدي... لكن انقلبت الموازين رأساً على عقب حينما اكتشفت سلمى أن ابنتها غارقة حتى أذنيها في غرام سداس، وأدركت أن هذا العشق المجنون في طريقه إلى كارثة، ولاحت في الأفق إشارات تدل على حماقات قد ترتكبها جميلة، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج، فوافقت على زواجهما، وما كان لأحد أن يعارض قراراً تتخذه سلمى الأحمدي.

قائمة طويلة عريضة من الشروط وقع عليها سداس ولم يعترض على أي بند فيها، ومع بداية العام الرابع لحب سداس من أول "سمعة" تحقق حلمه، وتزوج جميلة أم فخري، وعاشا بسعادة وهناء، ولم يبقَ إلا قدوم فخري الصغير، لتكتمل الأسماء وتَصِح".

أبو وأم في انتظار فخري الصغير

لم يرغب في أن يطلق على ابنه البكر اسم فخري، وكان يميل إلى تسميته "عبود" إحياءً لذكرى جده شيخ العرب، خضع للأمر الواقع الذي ورطه فيه والده بعد أن أطلق عليه اسم أبو فخري منذ ولادته.

حبلت جميلة وأخذ سداس يعد الأيام في انتظار قدوم فخري، ولهذه المناسبة الخاصة والسعيدة، اشترى عجلاً ليذبحه فور وصول ولي العهد، وبدأ العد التنازلي 9...8...7...6...5...4...3...2... الداية أم أحمد تنطلق من بيتها باتجاه بيت سداس، تصفر ليفتح المارة لها الطريق، وترافقها شفيقة تغمز بعينيها، جميلة تصرخ، وسداس يعد الدقائق، وقد أرخى أذنيه من خلف الباب لتلتقط أي حرف يحمل له النبأ العظيم...

ساعة مرت وكأنها الدهر ولم تنطلق الزغاريت إيذاناً بميلاد فخري ابن أبو فخري ابن الحج فخري ابن الشيخ عبود، وحينما انشق الباب وأطلت منه شفيقة ولم تغمز، أدرك سداس أن مصيبة قد حدثت، ومع هذا تمسك بالأمل وقال:

- "بشري يماا بشري".

شفيقة تحث الخطى وتتجنب النظر في عيني ابنها، وتحدثه في طريقها للخروج دون أن تتوقف أو تلتفت إليه:

- "نخرية! وليس نخري... يا سداس، نخرية...! وخطتك فشلت! الله يعوض عليك!"

وخلفها خرجت الداية دون أن تزف له البشرى، وأخيراً قرر سداس الدخول، لعل وعسى يكون هناك خطأ ما في تشخيص جنس المولود بين نخري ونخرية.

- "ما هذا يا جميلة؟".
- "بنت زي القمر".
- "وأين نخري؟".
- "الله رزقنا بنت يا أبو نخري".
- "ألم أخبرك أني أريد "نخري" لا "نخرية"!.
- "صلّ على النبي يا سداس!".
- "عليه الصلاة والسلام، والآن ماذا سأخبر الناس؟ أبو نخري خلف نخرية!".
- "استغفر الله يا سداس! وأخبرهم أن الله قد رزقنا بعروس".
- "تسعة أشهر أدللك، وفي النهاية تجبين لي نخرية!!".

- "ما تزرعه تحصده يا سداس".
- "أنا زرعتُ نخري وأنت أنجبتِ نخرية!".
- "بذورك، وما زرعته أنت حصدته أنا، وإرادة الله فوق الجميع".
- "بذوري مزبوطة ومضبوطة، ويبدو أني زرعتها في أرض بور!!".

أدارت جميلة وجهها عنه وأخذت تبكي، فتركها وذهب لأمه يشكو إليها حاله وما حل به، وكيف أنَّ تسعة شهور في انتظار نخري كانت بلا جدوى، وأنَّ جميلة المتعلمة خرجت عن طوعه، ولم تنجب له صبياً، وفوق كل هذا تدَّعي أنَّ بذوره فاسدة.

الحمار والذهب

اغتاظت شفيقة وتكدرت:

- "(يقطع لسانها ولسان أمها...!) كل البلد تشهد أن بذورك أحسن بذور يا أبو فخرية، والله سبحانه وتعالى يختبر إيمانك بفخرية وسيرزقك بفخري وإخوته، وجميلة ما زالت صغيرة ولم تتعلم كيف تتجنب الصبيان، امنحها فرصة لتصحح خطيئتها، والعجل اتركه لوالدك ليذبحه عند عودته من الحج".

لا شيء يستفز سداس أكثر من حجيج والده الشهري فقال:

- "زوجك الحجّيج عليه أن يبتعد عن عجلي مسافة ألف ميل، وأنا قررت أن أتزوج وأذبح العجل احتفالاً بهذه المناسبة".

وما كانت شفيقة لتفوت هذه الفرصة، فأخذت تغمز، إلا أنه قاطع غمزاتها قبل أن تصل إلى التكتيك، وقال لها إنه قد غمز وتكتك وحده، ويعرف من ستكون بديلة للفاشلة جميلة. توسلت إليه شفيقة أن يستمع إلى خطتها وأخبرته أنها تعرف عروساً تملك تنك ذهب يعجز الحمار عن حمله، فسألها:

- "ومن تكون هذه التي تبحث عن حمار يا حجة؟".

همست بصوت منخفض حتى لا يسمعها أحد وأخبرته أنها أم غزالة بائعة القماش، فسألها إن كانت المرأة نفسها التي اتهمتها سابقاً بسرقة أحد حليّها، فردت عليه إنها أثبتت لها بما لا يقبل الشك أن الجان هو السارق، ابتسم وسألها إن كانت خطتها تقتضي أن يتزوج إحدى بناتها، فأخبرته أنها لم تنجب إلا ولداً وأسمته غزالة، وسألها:

- "أتريدين أن أتزوج ابنها غزالة؟".

ردت عليه شفيقة بتقزز:

- "ما هذا الكلام! أتريد الزواج بغزالة الولد!".
- "حسناً، أتريدين أن أطلق أم غزالة من زوجها وأتزوجها... مثلاً؟؟".

طمأنته إلى أنه لا حاجة لطلاقها، وأن زوجها مات في الحرب وهي حامل بابنها غزالة.

سداس ساخراً:

- "الله يبشرك بالخير... أتزوجها وأصبح أبو غزالة".

حاول أن يشرح لها أن العروس أكبر منها سناً، ولو كانت تملك ذهباً لما أرهقت نفسها ببيع القماش، فأخبرته أن الذهب في المغارة، والمغارة

يحرسها جن، والجن بحاجة إلى بخور، والبخور بحاجة للمال، لهذا أقرضتها النقود مقابل تنكة مليئة بالذهب، فرد عليها سداس قائلاً:

- "اغمزي يا شفيقة وفكري صح، ابحثي لها عن حمار غيري لتحمل الذهب على ظهره".

فكرت شفيقة بمن يصلح أن يكون حماراً غير ابنها وقالت:

- "والله يا سداس ما في غيرك بستاهل يحمل الذهب".

غمزها وقال:

- "هناك شخص آخر سيعود من الحج قريباً!".

ماراثون الحصول على لقب أم فخري

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى تزوج سداس من أنعام ابنة أبو سلمان، وشاءت الأقدار أن تحبل وجميلة في الوقت نفسه، وبدأ السباق بينهما على من تنجب أولاً وتفوز بلقب أم فخري، وكان الجمهور المشجع لأنعام أكبر بكثير من مشجعي جميلة؛ أما سداس فأعلن وقوفه على الحياد... وفي قرارة نفسه كان يرغب في أن تفوز جميلة بلقب أم فخري بعد فشلها الأول، وصل السباق إلى الشهر التاسع، واقترب من الدقائق الأخيرة وفق تقديرات خبراء الحمل والولادة.

حبس أهل البلدة أنفاسهم عندما سمعوا أن "أنعام... جاءها الطلق..." وأطلقت الداية الصافرة، وشفيقة الغمازات في الطريق إلى أنعام... ولم يمض الكثير من الوقت حتى خرجت شفيقة وأعلنت النتيجة:

- "اذبح العجل يا سداس، ابنك فخري وصل".

فرح سداس ولم يذبح العجل احتفالاً بفوز أنعام على منافستها، بل فضَّل الانتظار قليلاً، لعله يستطيع تزوير النتيجة ومنح اللقب لجميلة، وفي أسوأ الأحوال يسمي أم فخري واحد وأم فخري اثنين.

طال انتظاره عدة أيام، وانطلقت الداية ترافقها شفيقة للمساعدة في ولادة جميلة، ولم تمضِ دقائق حتى خرجت تحث الخطى، دون أي غمزة يمين... أو غمزة شمال... وقالت له إنها في عجلة من أمرها لأن والده عاد من الحج، ويجب أن تذهب لاستقباله، وخلفها أسرعت الداية، وقالت إنها يجب أن تلحق بشفيقة لاستقبال والده، وخلفها خرجت خالته سعاد، فسألها إن كانت هي الأخرى ستذهب لاستقبال والده، فردت عليه:

- "لا هاي علوش ضاربة أبوها! بدي أروح أشوف إذا مات ولا طيِّب".

هنا أدرك سداس أن مصيبةً ما في انتظاره خلف باب الغرفة، فدخل ليجد سلمى جالسةً بجوار ابنتها جميلة تضم الرضيع إلى صدرها، فسألها وعنده الجواب:

- "ما هذا يا جميلة؟!".
- "ما رزقنا فيه رب العباد".
- "طيب فهمت، ولكن ما هذا؟!".
- "عروس تتربى في عزك!".
- "وأين الولد يا جميلة؟! واضح أنك لم تتعلمي من غلطتك الأولى!".

سلمى الأحمدي استشاطت غضباً ووبخته على همجيته بالحديث مع ابنتها بهذه الطريقة، وطلبت منه أن يستغفر الله على هذا الهذر، وأن يهدأ ويفكر في اسمٍ لابنته، ويشكر الله على سلامتهما.

صمت سداس دقيقةً ثم قال:

- "أستغفر الله العظيم... يلعن أبوك يا شيطان... يلعن أمك... يلعن أختك... يلعن جارتك... يلعن حمارك يا شيطان".

وبعد أن فرغ من شتم الشيطان قال:

- "خالتي سلمى بعدما طردت الوسواس الخناس، ممكن أطلب منك طلب صغير؟ ورحمة جدي عبود الشيطان ليس له دخل فيه!".
- "اطلب يا سداس".
- "انصرفي من وجهي أنت وابنتك!".

زواج بالجملة

عادت جميلة مع أمها إلى المزرعة حزينة مهمومة... وأطلقت على ابنتها الثانية اسم سلمى، ومرت أشهر وسنوات، وتزوج سداس الثالثة والرابعة، الخامسة والسادسة... وأحياناً كان يختصر إجراءات الطلاق التي لابد منها ليحافظ على معدل الأربع الحلال.

رزق سداس بالكثير من نخري، وأحياناً كانت تقع أخطاء بسبب حماقات الزوجات... والنتيجة عدة نخريات أخوات للكثير من نخري أبناء أبو نخري سداس ابن الحج نخري ابن شيخ العرب عبود.

وما الحب إلا للحبيب الأول، واشتعل حب جميلة في قلب سداس من جديد وعاد إلى الشعر والعود:

"بحبك... أنا بحبك... بحبك ... أنا بحبك
بعدد النحلات والنملات... بحبك أنا بحبك
بعدد غمزات شفيقة... بحبك أنا بحبك
حبك في قلبي مثل ديك البغال... ورقص الجمال
حبك على جسمي مثل لسع الناموس بالجبال
حياتي بدونك مثل الملح في الشاي"

قال الشعر ولحن الأغاني، وتذاكى وتهبل وذرف الدموع وتوسل، إلا أن قلب جميلة لم يرق له، وما كان لمثل سداس أن يكلّ أو يلين، فوصل الليل بالنهار، ومزج الدهاء بالغباء، وبعد جهد ومعاناة استطاع سرقة ابتسامة ناعمة منها، أعادت الأمل إلى روحه العاشقة، وأول الغفران بسمة، رقّ قلبها ووافقت على لقائه دقائق معدودة، سراً ومن وراء ظهر سلمى.

سألته عن حاجته وماذا يريد منها بعد هذه السنين الطويلة، ألم يكتف بما حظي به من نساء، فرد عليها وقال:

- "اكتشفت متأخراً يا جميلتي أن حبي لأم نخري أكثر من حبي لفخري وأبو نخري وأخت نخري وخالة نخري وابنة خالة أبو نخري علوش".

ضحكت جميلة وبدلع قالت:

- "طيب روح عند أم نخرياتك".
- انت أم نخري حتى لو كنت بلا نخري... وأنا على استعداد أن أطلق الثانية والثالثة والسادسة والعاشرة والـ...".

قاطعته جميلة:

- "يخرب بيتك كم واحدة تزوجت؟"

- "بصراحة لا توجد أرقام دقيقة، ولكني حطمت الرقم القياسي للحاج نخري".

بقليل من الدهاء وكثير من الهبل تسلل سداس إلى قلب جميلة وإلى غرفتها سراً دون علم أحد، كان عناقاً وقبلاً بعد فراقٍ دام سنوات... تكررت زيارات سداس بالسر إلى جميلة، ولم تسمح له أن يتعدى حدود العناق وما كان سداس ليعرف الحدود، وعلى الرغم من ممانعة جميلة الجميلة، كان لا بد من إعادة ترسيم الحدود، والسماح لسداس أن يعبرها قليلاً بالقبلات فقط... وبعناقٍ فقط... لحظات وسقطت الحدود.... .

سلمى لم تكن من النساء اللواتي تفوتهن شاردة، واحمرار وجنتي جميلة أثار في قلبها الشكوك في أن أمراً ما يدور من خلف ظهرها... وعلى الرغم من نجاح جميلة في إخفاء الكثير من علامات الليالي الحارة... فإن هناك علامة ظهرت لا يمكن إخفاؤها. بدأت تمهد لأمها لتزف لها المصيبة وقالت:

- "ماما أنا حامل".

سلمى تمسك بيدها كتاباً انشغلت في قراءته واسترخت على مقعد كبير بجوار الشباك المطل على الحديقة، تضع نظارة طبية، ويبدو أن سمعها قد

ضعف أيضاً بعد تجاوزها منتصف الخمسين، ولم تبعد عينيها عن الكتاب وسألتها أن تعيد ما قالت. جميلة وبصوت أعلى من المرة السابقة:

- "أنا حامل يا ماما".

ترفع سلمى عينيها عن الكتاب وترد عليها بهدوء واسترخاء:

- "ومتى وكيف حدث الحمل يا جميلة؟؟".

تحمر وجنتاها خجلاً وتجيب بحياء:

- "مثل كل الناس يا ماما".

تهز سلمى رأسها وتتفهم أنه لا داعي للخوض في تفصيل كيف يتم الحمل، وتسألها:

- "ومن هذا الذي حملت منه؟".

تحني جميلة رأسها لتتحاشى النظر في عيني والدتها، ولا تجرؤ على البوح بالخبر الصادم حول هوية الفاعل فقالت:

- "منّه يا ماما، منه..."

ابتسمت سلمى وسألتها:

- "ومن هذا؟".

لا بد لها أن تواجه الموقف بشجاعة، فقالت:

- "من زوجي يا ماما".

علت ملامح الحيرة وجه سلمى وقالت باستهجان:

- "وهل طلقك سداس لتتزوجي دون معرفتي؟!".

- "سداس لم يطلقني يا ماما".

تزم سلمى شفتيها وتقطب حاجبيها وتقول:

- "إذا لم يطلقك فكيف تزوجتِ وحبلتِ؟".

تستجمع جميلة شجاعتها لتحسم النقاش ولكنها تتلعثم:

- "من... من س س دااا س س... من سداس يا ماما!".

وما إن وصلت إلى مسامعها الأحرف الأربعة التي تشكل اسمه حتى طار الكتاب وابتعد عدة أمتار، وتراجع المقعد واصطدم بالجدار، وانتصبت وازدادت طولاً، احمرت عيناها وتسارعت أنفاسها والتهبت، ونطق العفريت القابع في أعماقها بصوت جهور أجش:

- "الله لا يوفقك فضحتينااااااااااااااااااااااااا!".

جميله تواري وجهها بكفيها من هول التحول الغريب الذي لم تعهده من قبل، ولم تشهد طوال حياتها أن أمراً استطاع أن يستفز أمها، فبكت باستعطاف:

- "خلص ماما صار اللي صار".

سلمى ما كانت لتقسو على ابنتها، وعلى الرغم من الإهانة التي شعرت بها، فقد أعادت ترتيب الأمور لتناسب ما استجد من أحداث، فسمحت له بالدخول من جديد في حياة جميلة، وكان شرطها أن تبقى جميلة وبنتاها شفيقة وسلمى في المزرعة، وألا تعودا إلى البلدة. وافق سداس على شروطها.

كان حمل جميلة كأي حمل، وصل إلى التاسع ولم يشغل بال أحد، وزوجها الأمر عنده سيان إن أنجبت ذكراً أم أنثى...

الأبيض البارد يزف ميلاد سعدية والحمامة

تساقطت الثلوج وارتدت التلة حلتها البيضاء، وأشرقت الشمس وامتلأ قلب سلمى وابنتها بفرح لم يشاركهما فيه أحد، وجميلة تود لو أن بإمكانها الطيران لتزف لوالدها وبناتها وللعالم أجمع خبر ميلاد سعد، إلا أن أمها الحكيمة طلبت منها أن تتريث قليلاً، خوفاً عليه من الحسد.

تسلل الخوف إلى قلب جميلة مما قالته أمها عن الحسد والعين واتفقتا معاً على إخبار الجميع أن المولود سعدية وليس "سعد"، وبعد أن يشتد عوده تخبر الجميع أنه سعد.

ساعدت الظروف التي أحاطت بمولده من ثلج وما يسببه من إغلاق الطرق وغياب الجميع على إبقاء الأمر سراً تتشاركه الأم وابنتها.

بلغ سعد الذي حوله الحسد إلى سعدية من العمر أسبوعاً، وعلى بعد عدة أميال بعيداً عن المزرعة طلبت شفيقة من ابنها أن يذهب ليطمئن إلى جميلة، خاصة أنها في أسبوعها الأخير، فأخبرها أن الطرق مغلقة وحين يذوب الثلج سيذهب إليها. لم يشغل باله جنس المولود، وعنده من الأولاد الكثير، ثم سألها عن والده، فأخبرته أنه سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج، فقال لها:

- "إيمان الآباء قتل الأبناء!" وإن استمر بالحج والزواج وإنجاب القرود والقردات لن يتبقى لي شيء لأرثه، ولو شاء الله ومات قبل أن يتزوج عليكِ يا شفيقة كنت سأرث 100 دونم وأختي عفاف كانت سترث نصف دونم.

على الرغم من أن الحاج خط أحمر وشفيقة لا تتهاون مع من يتجاوز الأحمر، فإنها انشغلت في محاولة فهم المنطق السداسي في تقسيم الورثة مع أخته، وسألته كيف يكون ذلك وشرع الله أعطاها الثلث ... فرد عليها:

- "شرع البلد يقول (أختك لا تظلمها، اِرضيها ولا تعطيها!)".

لا يروقها المنطق السداسي، فتدير ظهرها له وتتمتم:

- "طالع على مين طماع وبطنه أجرب؟".

تمتمة شفيقة لا تشبه أي تمتمة، فكلماتها واضحة ومسموعة، فعلق سداس قائلاً:

- "من شابه أباه ما ظلم يا حجة!".

الحسد والحمامة

لم تكن سلمى تخشى الحسد بقدر خوفها من أطماع سداس إن اكتشف أن له ابناً من جميلة، مرَّ عام وعام وبلغ سعد، سعدية، من العمر سبعة أعوام وكان... كانت... فائقة الذكاء. قررت سلمى أن ترسلها إلى المدرسة لعل ذلك يساعد في بناء شخصيتها، وبدأت رحلة سعد... سعدية الخجولة صاحبة الشخصية المهزوزة بمدرسة البنات، ولم يكن سهلاً عليها اكتساب الصديقات، على الرغم من ذكائها الذي فاق كل الطالبات مجتمعات... مرت الأيام وسعدية تخرج كل يوم إلى المدرسة برفقة أحد موظفي المزرعة، وقبل خروجها تتلقى الإرشادات اليومية، أحياناً من جدتها وأحياناً من أمها:

- "ممنوع حد يشوف الحمامة ممنوع!!".

وسعد/ سعدية المسكينة لا تفهم الأسباب من وراء هذا التحذير، لم ينتبه أحد إلى المعاناة التي تعانيها بصمت. اعتقدت أنها تعاني من خطب ما في تكوينها، لم يشرح لها أحد يوماً أنها ولد، والأيام تمر بسرعة والحمامة تنجح في الاختباء، لكن براءة الصغار وفضولهم دوماً يقودان لاكتشاف المخفي والمستور.



مزيد من الروايات للكاتب فوزي عبده تجدونها الآن
على الموقع الالكتروني



www.JarretDahab.com

البحث عن سر الحمامة

نعمة ابنة السبعة أعوام زميلة لسعدية في المدرسة. عند عودتها للبيت أخذت تنادي على أمها:

- "يماا يما يماا!".

امتعضت الأم، ووبختها على استخدام يماا بدلاً من ماما، وطلبت منها أن تبلع لسانها الطويل وألا تتحدث معها قبل إنهاء واجباتها المدرسية. جلست نعمة والهم في عينيها تتأمل كتاب التاريخ، إلا أن تفكيرها انشغل بأمر آخر، فتمرد لسانها:

- "يماا...يماا... ماما ماما".
- "شو بدك يا نعمة؟".
- "سعدية عندها حمامة يا ماما".

الأم صديقة لجميلة والدة سعدية ولم يخطر ببالها أن ابنتها تتحدث عن حمامة عجيبة ليست ككل الحمائم فردت عليها:

- "ادرسي مليح ويوم الجمعة بتروحي تلعبي بحمامة سعدية...".

نعمة تفكر ولا تجد منطقاً فيما قالته والدتها، فتعود إلى الإلحاح سعياً وراء الإجابة:

- "ماما ماما ماما".
- "شو! شو شو بدك شو بدك يا نعمة؟!".
- "ورحمة أبوي سعدية عندها حمامة...".

الأم ترد عليها لحسم الموضوع:

- "فهمت فهمت، يوم الجمعة سنذهب جميعاً للعب بحمامة سعدية

نعمة تحتار، وعقلها الصغير لا يستوعب كيف ستلعب العائلة كلها بحمامة سعدية، ولكن ما دامت أمها تعرف عن حمامة سعدية فإن الأمر طبيعي، والكبار يعرفون كل شيء، ومع هذا هناك العديد من الأسئلة في رأس الصغيرة لا تستطيع تركها دون أجوبة، فعادت للسؤال:

- "ماما ماما ماما".
- "وبعدين معك اليوم يا نعمة؟!".
- "ليش عند سعدية حمامة وأنا ما عندي؟!"

أجوبة الأم لا تحتاج إلى تفكير وذكاء، فردت عليها:

- "لأنها شاطرة ما شاء الله عليها... مش مثلك، يلا كوني شاطرة مثلها وأنا بجيبلك حمامتين...".

جواب الأم يزيد من حيرة الصغيرة، وعقلها بالكاد استوعب حمامة واحدة، فكيف سيستوعب حمامتين. سألتها إن كانت كل بنت مجتهدة

في الدراسة تحصل على حمامة شبيهة بحمامة سعدية، فأكدت الأم أن الاجتهاد هو الطريق لحصول البنت على حمامة، وهكذا اتضحت الصورة لنعمة فسألت:

- "معلمتي ميسون عندها حمامة؟؟".

الأم تجدها فرصة لتشجيع ابنتها على الدراسة والاجتهاد فتقول لها:

- "معلمتك ميسون عندها خمس حمامات".

وهنا قررت نعمة أن تبلع لسانها وألا تسأل أكثر، خاصة أنَّ كل سؤال يزيد الأمور تعقيداً، ويزيد أعداد الحمامات، وما عادت لتشك في أن الحمامة لها علاقة بالأولاد فقط، واليوم اتضح لها أن البنت أيضاً يمكن أن تحصل على حمامة إن اجتهدت في دراستها، وعدد الحمامات يزداد بناء على التفوق والنجاح والتعليم... .

حوار الحمامة. . .

في البيت القديم المكوَّن من عدة غرف صغيرة ويطلق عليه اسم مدرسة بنات التلة الابتدائية... وفي إحدى الزوايا وقبل بدء الدراسة، اجتمعت نعمة مع عدد من الطالبات ممن هن في عمرها، وأخذت تشرح لهن أن حمامة سعدية نبتت لأنها ذكية ومجتهدة، وأكدت أن والدتها أخبرتها أن كل بنت تجتهد وتنجح في الامتحانات تحصل على حمامة.

جاء دور الطالبة فاطمة لتسأل:

- "سهير شاطرة مثل سعدية يعني عندها حمامة؟".

ترد نعمة بثقة:

- "طبعا عندها حمامة، ونوال عندها حمامة، وسميرة وفاتن ونهى ومريم وسماح عندهن حمامات، وكمان عائشة عندها حمامة، وكل بنت شاطرة عندها حمامة".

طالبه أخرى تدخل على حوار الحمامة:

- "أنا بعرف الأولاد عندهم حمامة، البنات لأ... أنا أخوي الصغير مش شاطر وعنده حمامة!".

وكان على نعمة أن تجد لها إجابة، فأخبرتها أن الأولاد حتى لو كانوا أغبياء تكون لهم حمامة، أما البنات فيتوجب عليهن الاجتهاد أولاً والنجاح في المدرسة. طالبة أخرى تشارك بالحوار:

- "أنا أمي ما عندها حمامة".

ترد عليها نعمة لتقطع الشك باليقين:

- عندها بس إنت ما بتشوفيها... والمس ميسون عندها خمس حمامات لأنها معلمة! والمديرة عندها عشر حمامات.

وهكذا قدَّمت نعمة الأجوبة المنطقية لسر الحمامة، وبدأت رحلة الاستكشاف والبحث عن الحمامات في المدرسة، والمعلمة ميسون كانت المحطة الأولى لنظرات وهمسات وبحث الصغيرات عن الحمامات.

الحمامة والتربية والتعليم . . .

الكثير من الهمسات وصلت إلى مسامع ميسون... "حمامة... حمامة" حينما كانت تخرج من الصف أو تدخله، ونظرات البراءة لا يمكن إخفاؤها، للوهلة الأولى اعتقدت ميسون أن ما ترتديه ربما كان غير معتاد على أهل البلدة، خاصة أنها ليست منها، ولكنها ربطت سريعاً بين الهمسات التي وصلتها سابقاً، وبين نظرات الصغيرات التي تبحث في أماكن محددة من جسدها، وأنّ ما تخفيه لا ما ترتديه هو ما يثير الفضول، فقررت ميسون أنْ تُخرج الصغيرات من حيرتهن حول الحمامة، وكتبت على اللوح "آدم... حواء... ولد... بنت"، وقالت:

- الله سبحانه وتعالى خلق آدم وحواء، وقبل أن أشرح عن آدم وحواء أريد أن أسأل عمّا تعرفنه عن الفرق بين آدم وحواء؟

تسابقت الصغيرات للإجابة عن السؤال:

- "آدم ولد... حواء بنت".
- "الأولاد ينبت لهم شارب، البنات لا".
- "الأولاد شعرهم قصير، البنات لا".

وأكثر من طالبة أجابت إن أخاها الصغير له حمامة، وشعرت ميسون أن الأمور أبسط مما اعتقدته في البداية، وأن أهالي الطالبات قد علموهن الفرق بين الذكر والأنثى... ولكن الصغيرة نعمة لا بد لها أن تتفلسف وتعقد الأمور فقالت:

- "البنت المجتهدة ستحصل على حمامة".

ضحكت المعلمة ميسون وشرحت لها أنها على خطأ، وهنا توجب على نعمة أن تدافع عن موقفها فسألت المعلمة:

- "إنت كيف عندك خمس حمامات وإنت بنت؟".

ميسون لم تمالك نفسها وضحكت ومعها كل الطالبات، وبذلت جهداً كبيراً في تصحيح الخطأ. أخذت تشرح لهن عن آدم وحواء، بما يناسب عقول الصغيرات، وشعرت بأنها قد قامت بواجبها التربوي تجاه الطالبات، ولم تعلم أنها وقعت ضحية لعنة حمامة سعدية.

العدو الذكري. . .

لم تمر أيام حتى انتشرت قصة آدم وحواء، واشتعلت البلاد غضباً وناراً، وحسنية هي من أطلقت الشرارة الأولى حين أخبرت زوجها أن إحدى المعلمات الفاسقات قد علمت ابنته كلاماً "سافل وعيب"، وهو بدوره أخبر شقيقه أن المعلمة تشرح للبنات عن الحمامة، وشقيقه المثقف أخبر ابن عمه الجاهل أن هناك معلمة تشرح عن العضو الذكري، وابن عمه أخبر جاره عن الحمامة، وأن اسمها بلغة الخواجات العدو الذكري، ومن بيت إلى بيت جال العدو الذكري وأقلق منام الكثيرين.

وهنا لابد لأصحاب القرار وبإصرار من التصدي لهذا العدو سيئ السيط والسمعة، وفي مثل هذه الأزمات لا بد للقيادات أن تجتمع لاتخاذ القرارات التي تتلاءم مع مستوى الحدث.

اجتماع للكبار للتصدي للعدو الزكري

اجتمع خمسة من الكبار الكبار (إكس إكس لارج)، وثلاثة من الطموحين لتسلق سلم الكبار، وأربعة من الصغار الذين احترفوا هزَّ الذنب، وواحد وحيد يفرض نفسه على كل اجتماع للكبار أو الصغار، على قاعدة "يا لعيب يا خريب".

افتتح الحديث، رزق اللعيب، وامتعض الكبار لأنه من الصغار، ولكن اختصاراً للتخريب تغاضوا عن هذا التجاوز. سأل الحضور عما يتوجب فعله بخصوص العدو الذكري الذي أصبح على لسان الجميع.

أبو إسماعيل الخبيث أعجبه مسمى العدو بدل العضو ولم يسعَ إلى تصحيحه وقال:

- "فليسقط العدو".

ابتسم البعض لمسمى العدو، والبعض الآخر اعتقد أنه المسمى الصحيح واتفق الجميع على انتظار حضور الشيخ أبو نعامة قبل اتخاذ أي قرار، وأبو نعامة في نهاية الخمسينيات "مكرش" شاربه رفيع، ولحيته نحاسية، ويرتدي دشداشة بيضاء فوق شرواله الأحمر، ذو عقل وعلم وحكمة، صاحب رأي ومشورة، خطيب فصيح، وبشوووش ولكنه يعاني من ضعف في

الذا كرة، ويفقد تركيزه أحياناً أثناء الكلام، ويشرد بخياله كثيراً ويختلط ما يقوله بما يفكر فيه.

وبكامل أناقته حضر إلى مجلس الكبار، وبعد السلام عليكم ورحمة الله، جلس على المقعد الذي يدل على مكانته بين القوم، ورزق اللعيب بيته مجاور لبيت الشيخ، ويحق له ما لا يحق لغيره، وكالعادة يسبق الجميع دوماً في الكلام، فقال:

– "في معلمة بتعلِّم البنات عن العدو الذكري!".

رد أبو نعامة ماطاً الكلمات:

– "وما هذا العدو الذكري يا رزق؟".

أبو محمود العجوز الأحدب رد عليه:

– "الحمامة ... الحمامة... يا عيني على الحمامة".

أبو نعامة:

– "ها ها ها هذه حمامة لا تطير... هاهاها... فهمت، تقصد العضو الذكري، ها ها هاااا... يا إخوان لا يجوز أن نسميه العدو! ها ها هاااا... هو صديق وليس عدواً، لعيب وليس خريب مثل رزق ها ها ها... والصديق يقف في المواقف الصعبة ليساندنا... وإنْ لم يكن موقفه صلباً تلحق بنا الهزائم، وهل يصح أن نسميه

عدواً! وهو صديق في الوساع والضيق! نعم، قد يخذلنا أحياناً ويصيبه النعاس وينام ولا يهب لنجدتنا، ولكن في أغلب الأحيان يقف وقفة أسد... ومن منكم لم يشرفه ويرفع رأسه ويسانده هذا الصديق!؟".

لا يروق لرزق اللعيب استهتار أبو نعامة وسخريته، فيعلق:

- "صديق، عدو، عضو... المهم لازم نتصرف! الناس كلها ما في ثمها إلا (العدو)".

الشيخ أبو نعامة يقهقه بصوت عالٍ على ما قاله، ويستاء اللعيب ويسأله عما يضحكه، فيرد عليه أبو نعامة بقهقهة:

- "ها ها ها... لا يجوز يا لعيب أن تقول في أفواه الناس، وخاصة إنْ دار الحديث عن العضو الصديق، حتى لا يقع أي التباس بفهم الأمور ها ها ها".

يستفز اللعيب ويسأله أين المشكلة إن قال في أفواههم، ويحذره إن ضحك مرة أخرى سيخرب اللعبة، أبو نعامة يكتم أنفاسه ويخنق بقايا ضحكة حتى لا يستفز رزق اللعيب، وهو الخبير بعناده ويقول لامتصاص غضبه:

- "أنا أبتسم ولا أضحك... يا لعيب".

وهنا يتدخل أبو إسماعيل الخبيث ويخاطب اللعيب:

- "لا عليك يا رزق، اخرج هذا العدو من رأسك وفمك، واترك أبو نعامة يتفحصه ليشور علينا بما نحن فاعلون".

أصاب الخبيث غايته وتحررت قهقهات أبو نعامة الحبيسة، وانتشرت عدوى الضحك بين الجميع باستثناء المختار أبو جمال، فقد حافظ على هيبته أو لم يفهم المقصود، وانتقد الشيخ لاستهتاره بالموضوع، وهنا شعر أبو نعامة بالحرج واعتدل في جلسته وقال:

- "لست أنا من يتهاون في مثل هذه الأمور! وإنْ غضضنا الطرف أو تساهلنا مع ما حدث نكون شركاء في الجريمة، ويجب علينا أن نضع حداً لهذه الثقافة الدخيلة، التي يُراد منها نشر الفسق والرذيلة، وعلينا أن نكشف هوية المعلمة ونجعل منها عبرة لمن لا يعتبر!".

رزق اللعيب يسبق الجميع ويصف المعلمة من رأسها لأخمص قدميها، والوقت الذي تصل فيه إلى المدرسة. لم يكن أبو نعامة بحاجة لمن يعرّفه بهذا الغزال، الذي يطمح أكثر من غيره لاصطياده.

- "آخ منك يا ميسون، آخ".

كلمات رددها بسره، وقال:

- يا إخوان، لا يصح أن نتسرع ونحكم بناءً على ما نقلته بعض الصغيرات، ربما كان هناك لبس ما أو فهم مغلوط لما تم تناقله... ومن الحكمة أن نتبين الحقيقة كاملة، ونستمع لوجهة نظر المعلمة، وربما نكتشف ألا علاقة لها بمثل هذا الأمر المشين، أو لم تقصد، ووقع خطأ ما، وغداً سأتبين الحقيقة، وبعدها سأقرر ما عليكم فعله.

هنا أخذ الجميع يتسابق للتطوع ومقابلة المعلمة الجميلة لتبين الحقيقة، أعلن رزق أنه سيرافق من يتم اختياره لمقابلتها، على قاعدة يا لعيب يا خريب، يمتعض أبو نعامة لبذاءة القوم ويقول:

- "يا إخوان لا يصح هذا! أراكم تتسابقون لمقابلة المعلمة، وهذا بصراحة يثير الشبهات حول المقصد، وعليه أطالبكم جميعاً بأن تتجنبوا الشبهات... أنا سأريحكم من هذا العناء وسأذهب بنفسي لتبين الحقيقة وأعود إليكم بالرأي الصواب.

يصمت الجميع ويعلق رزق قائلاً:

- "أنا معك على الموت يا شيخ، يا لعيب يا خريب".

وفي اليوم التالي مشط أبو نعامة لحيته النحاسية وهذبها، وتعطر وتأنق واستعد للذهاب إلى المدرسة واكتشاف الحقيقة، تسلل بهدوء حتى لا

يلمحه جاره رزق، وما إنْ خطا عدة خطوات حتى سمع الصوت الذي لا يسره سماعه هذا اليوم:

- "صباح الخير يا جار".

التفت الشيخ ورأى رزق قد تأنق بدوره وجلس على عتبة داره في انتظار خروجه ليرافقه في اكتشاف الحقيقة، ابتسم أبو نعامة وقال:

- "يا بني، لا يصح أن ترافقني بمثل هذه المهمة حتى لا نثير قلق المعلمة، اذهب إلى بيتك وسأعلمك قبل الجميع بما سأكتشفه".
- "أنا يا لعيب يا خريب، واختصر بلاش أخرب اللعبة أو نتأخر".

اضطر أبو نعامة لاصطحاب جاره رزق، وفي طريقه أقنعه بأن ينتظر خارجاً حتى ينادي عليه لاحقاً ليشاركه اكتشاف الحقيقة.

فحص الحقيقة

استقبلت المعلمة ميسون أبو نعامة بالترحاب:

- أهلاً وسهلاً بك يا عمي الشيخ أبو نعامة، شرَّفت المدرسة... منذ زمن وأنا أقترح على مديرتنا الأستاذة فتحية أن تدعوك أنت واللجنة لزيارتنا، لعلكم تساعدوننا في إيجاد حل لاكتظاظ الصفوف، أنت أملنا في إنهاء هذه المشكلة، ومن غيرك سيستمع إليه الآخرون".

أبو نعامة يداعب لحيته بأنامله ويتفحص ميسون من القدم إلى الرأس ويبذل جهده ليركز فيما يقول حتى لا تختلط الكلمات، وأخيراً قال:

- "ستجدين مني كل الدعم يا ميسون، وإنْ لم أدعمك من سأدعم! وصدقيني منذ أن رأيتك أول مرة ولي رغبة في أن أدعمك وأدعم المديرة".

ميسون لا تشعر بالراحة لنظراته التي لم تترك جزءاً من جسدها إلا وزارته، ردت عليه:

- "أنا أتمنى أن يقف أهل البلد خلفك ويدعموك كما تفكر أن تدعمنا".

- "لقد جئتك اليوم في أمر مهم يا ميسون، وأمر نصف مهم".
- "يسعدني حضورك، وكلي آذان صاغية".

أبو نعامة شرد في خياله قليلاً:

- "أنت يا ميسون، منذ قدومك إلى بلدتنا ولكِ مكانة خاصة في قلبي... وحين كنت أراكِ قادمة في الصباح كنت أقول بدأ "الفلم" أقصد العلم! وحين كنت تغادرين كنت أقول غادرنا العلم... وكم أردت أن أشدك إليّ شداً... شديداً... من أجل أنْ تبقي وتُعلّمِي... ماذا أفعل طريق قدومك وعودتك يمر من أمام بيتي... ها ها ها".
- "شكراً عمي الشيخ شكراً! قالتها بحياء"
- سأبدأ بالأمر نصف المهم... كما تعلمين يا ميسون، نحن أهل العلم والثقافة، أنا وأنت، يجب أن نراعي أن هناك في هذه البلدة الكثير من الجهلة، ومن واجبنا أن نتجنب ما قد يُفسَّر بغير محله حتى لا نقع في المحظور".
- "أكيد عمي الشيخ... أكيد".
- "بالأمس، كان هناك اجتماع للمسؤولين عن البلدة والتعليم للتداول بشأن إغلاق المدرسة، والسبب أنه قد تم تجاوز

الأخلاق وتعليم البنات ما يجب ألا يتعلمنه، واسمك يا ميسون ذكر بالاجتماع بخصوص الدرس الأخير عن الشيء والأشياء".

- "أي شيء وأي أشياء أنا علمتها ولا يجوز تعليمها؟!".

سألت باستغراب شديد وهي تراقب الشيخ الذي شرد بخياله كعادته، وميسون تلفت انتباهه ليركز معها قليلاً، فهز رأسه بعد أن انتبه إلى أنه شت عن الموضوع وقال:

- "الشيء الذي لا يجوز الحديث عنه أمام الطالبات".
- "وضح كلامك يا عمي الشيخ".

أبو نعامة يرفع شفته العلوية لتلامس أنفه ويمد الأحرف بنطق اسمها:

- "الشيء يا ميسوووون... الشيء يا ميسووووون... ومن يجهل الشيء وهو شيء!".

"لم تفهم ما يرمز إليه أبو نعامة، استفزها ذلك وقالت":

- "أوكي... فهمنا أنه الشيء، ولكن ما هو الشيء الذي تقصده بالشيء؟؟
- الشيء يا ميسووون! الشيء الذي أنعم الله به على آدم ولا يوجد مثله عند حواء يا ميسوووووووون.
- قصدك العضو الذكري يا شيخ؟

قهقه أبو نعامة بأعلى صوته:

- هههها هههها... نعم نعم ويسميه بعض الجهلة بالعدو الذكري.

ميسون باستهزاء لا ترغب في إخفائه قالت:

- وكيف يمكن أنْ أعلِّم الطالبات بما أنعم الله به على آدم ولا يوجد مثله عند الأشياء يا شيخنا؟!

- لا يصح يا ميسون تعليمهن عن الشيء والأشياء.

وفي محاولة منها لوضع حد لهذا الجدل العقيم قالت بنبرة حازمة:

- أنا أقوم بواجبي كمعلمة، ولا أجد عيباً فيما علَّمته، والشيء والأشياء تحمل في طياتها الكثير من المعاني وتقود إلى الجهل وأمثالك من المتعلمين سيشاركونني الرأي.

أبو نعامة لا يرغب في أن يطيل الحديث في الموضوع، وهناك ما هو أهم ليحدثها فيه وقرر بدوره أن يحسم الموضوع قائلاً:

- نعم، أنا متعلم مثقف وقضيت عمري في محاربة الجهل، ويشهد الله أني قد ساهمت في بناء مدرسة الأولاد، ولكن يا ميسوووون هذا موضوع خطير وتجنبي الاقتراب منه؛ حتى لا يختلط الشيء بالأشياء وتقعي في المحظور!

كادت ميسون تختنق من حجم الغباء الماثل أمامها، فحاولت أن تختصر الحديث وتجاري الشيخ فيما يقول، لكنها لم تستطع، ومن بين أسنانها قالت:

- وأنت يا شيخ، إن اكتشفت أنّ إحدى بناتك كان لديها اعتقاد خاطئ عن الأعضاء التناسلية... ماذا كنت ستفعل؟! أحرجه السؤال، واختصاراً للجواب قال:
- أنت فقط تجنبي الحديث عن الأشياء ولا تهتمي، سأتصرف أنا وغضب الأهالي سأخلصك منه، وسأجعله يختفي وكأنه لم يكن يوماً، وسأدعمك... لتعرفي كم معزتك في قلبي يا ميسون، فهذا موضوع نصف مهم لن أناقش فيه أكثر...
- شكراً عمي الشيخ على جهودك العظيمة في خدمة المدرسة والتعليم.

وفي سرها قالت: "يلا جر لحيتك النحاسية وانصرف من وجهي"

- لا داعي للرسميات! ناديني فقط أبو نعامة دون عمي ولا الشيخ.

وفي سره ردد: آخ آخ يا ميسوووووون آخ

- "أمرك أبو نعامة... شو عندك... مهم؟؟"

أبو نعامة شرد في خياله كعادته قليلاً، وبدأت الكلمات تختلط، وقال:

– عندي شيء كبير أود مشاركتك فيه.

ملامح وجه ميسون ونظراتها النارية جعلته يدرك أن بعض ما فكر فيه قفز على لسانه ليختلط مع ما كان ينوي قوله، فأسرع في الرد ليتلعثم ويتعثر أكثر:

– لا أقصد الشيء الكبير الذي يدور في بالك أنت! وإنما قصدت الحديث الكبير الذي عندي... أقصد حديثاً وليس شيئاً آخر من الأشياء التي تفكرين فيها... لا يجوز لك أن تفكري بهذه الطريقة وأتمنى ألا تسيئي فهم القصد من وراء ما قلت.

تلعثمه والارتباك الذي وقع فيه بدد غضبها فردت بهدوء واستهزاء:

– إذاً تناول هذا الشيء، وضعه في فمك وتذوقه لعله يعيد إليك التوازن يا أبو نعامة...

انتفخ أبو نعامة وثار ودمدم:

– ماذاااااااا تقولين أنت؟!

هزت رأسها بغبطة وقالت:

– وهل الأشياء التي قلتها بحاجة إلى تفسير! إلا إنْ ترجم عقلك الأشياء بما لم يخطر في بالي، ما قصدته من قولي هو أن تأخذ

من العلبة التي أمامك قطعة شوكولاتة وتضعها في فمك لتعيد توازن السكر في دمك، فهل هناك معنى آخر لم أفطن إليه؟!

- لا معاني أخرى للأشياء، فكل الأشياء جيدة، المهم أنا أريد أن أستشيرك في أمرٍ مهم... فأنا كما تعرفين لدي أربع زوجات، واحدة منهن طلبت الطلاق؛ لأنها مرضت ولا تستطيع أن تقوم بواجباتها الزوجية، فطلَّقتها إرضاءً لها... ومكانها الآن شاغر، وأود فعلاً أن تحلَّ مكانها من يشتهيها قلبي وتطلبها روحي... فما رأيكِ بزواجي من جديد؟؟

ما كانت ميسون لتشك للحظة واحدة في أنها المقصودة:

- نعم، يجب ألا تترك المكان فارغاً! توكل على الله وتزوج الرابعة!

وفي سرها: "وبعدين مع هذا اليوم!"

- وهل تعتقدين أن العروس التي يشتهيها قلبي ستوافق على طلبي؟

بدأت تراودها بعض الشكوك في أنه يقصدها، ولكنها جارته في الحديث قائلة:

- ومن هذه المجنونة التي قد ترفض أن تكون زوجتك الرابعة! وتترك فرصة العمر تفلت من بين يديها! وأنت أبو نعامة المحترم الفاضل؟!

- بارك الله فيكِ ونِعم النساء أنت... هل أنت موافقة على زواجي من جديد؟

بدأت تدرك أنه يقصدها في الكلام ولكنها لم تتأكد، فردت:

- ومن أنا لأوافق أو أرفض زواجك يا أبو نعامة؟! أنت من تقرر وعلى الآخرين السمع والطاعة!
- كلامكِ أثلج قلبي، ولكن لدي شروطي لأتمم هذا الزواج.

قالت وهي تترقب الآتي من الحديث:

- من حقك أن تضع الشروط على من ستتزوجها، أنت أبو نعامة ويحق لك ما لا يحق لغيرك...
- طلبي الأول منك أن تجلسي في البيت، وتتفرغي مستقبلاً لتربية الأولاد.

أدركت أنها رابعة الشيخ فتغابت:

- ما هذا اللغز؟! هل إنْ تركت التعليم سيسهل زواجك! واعذرني إنْ قلت إني لن أفعل ذلك!
- أليسَ من الواجب طاعتي؟
- ولماذا أطيعك بما لا يتماشى وقناعتي يا أبو نعامة؟!

- لأن من واجب الزوجة أنْ تطيع زوجها... وهذه شروطي لأتمم الزواج.

تفكر أن تقف وتصفعه على أنفه، وتؤجل ذلك قليلاً لتقول:

- ما دمت أنا سعيدة الحظ التي تقصدها من حديثك... فهل كنت ستوافقني لو طلبت منك أن تحلق لحيتك وشاربك وحاجبيك، وأن تنتف رموشك، وبعد أن تفعل هذا سأخبرك أن من سأتزوجه سأكون الأشياء الوحيدة في حياته! ولن أسمح له أن يخلط أربعة أشياء ببعضها البعض... وعندما يطلب مني أن أترك التعليم سأعطيه الجواب الكبير ليضعه في أذنه أو في المكان الذي يناسبه!! واعذرني عمي الشيخ أبو نعامة لدي أشياء لأعلّمِها للأشياء الصغيرة الجالسة في انتظار من يعلّمِها ولا داعي لأن تختلط الأشياء أكثر...!

تبددت أحلام أبو نعامة وأوهامه فلم يكن يعتقد أن هناك من ترفضه وهو الفصيح، وعقدت الدهشة لسانه وقد تبين أن هذه المعلمة فطنة ووقحة إلى أبعد الحدود فامتعض كثيراً.

رزق اللعيب في الخارج بانتظار دعوته ليشارك في اللعبة، خاب ظنه حينما رأى ميسون تغادر وخلفها الشيخ، فهدد وتوعد وقال:

- إن لم ألعب سأخرب هذه اللعبة.

دفعه الشيخ ليزيحه عن طريقه ودمدم:

- العب بها وحدك أو خرِّبها كما تشاء، فهذه اللعبة لا تليق بمن هو في مكانتي...

عاد أبو نعامة بخفي حنين يتمتم:

- يا لها من غبية! لو وافقت لدعمتها دعماً جميلاً!

وفي المساء اكتمل النصاب لجلسة العدو الذكري الاستثنائية، للاستماع للحقيقة التي عاد بها أبو نعامة، فجلس على مقعده الوفير، والحضور في انتظار أن ينطق، وبعد صمت قال وهو خير من قال:

- أقول لكم قولي... ولا تقولوا إنَّ لي بالقيل والقال... وسأقول من القول ما يُقال، ولن أقول ما لا يُقال... وقليل القال ما دل على القول... قلتُ لها هل قلتِ ما قيل أنكِ قلتِ... فقالت إنّها قالت ما قالت... وستقول ما يجب عليها أن تقول... ولن نتوقف عن القول... ما دام هناك قول يُقال... وقلت لها إن قلت ألا تقولي ما لا يقال... وقالت قولاً لا يقال... ولن أقوله... وليشهد الله أني قلت لكم بعض ما قالت... ولم أقلْ ما

لم تقل... والقول قولكم فلا تقولوا من القول إلا ما يُقال...
وأستغفر الله لي ولكم...

رد الحضور:

- ونعم القول ما قال أبو نعامة!

وقالوا القول الذي يقال، إنها فاسقة عاهرة يقف من خلفها الاستعمار، وتجنباً للشبهات طارت ميسون مع حماماتها الخمس، وتركت خلفها الطالبات حائرات بعد أن وصلن إلى نتيجة أن للبنات أيضاً حمامات ستظهر إن كن مجتهدات، ويُمنع الحديث عنها حتى لا يغضب الكبار.

الحمامة متعددة الأسماء

مرَّت أشهر على طرد ميسون بسبب العدو الذكري الذي أقلق منام الجميع... وما زالت حمامة سعدية تصول وتجول في مدرسة البنات دون أن يكشف الكبار أمرها، وحمامة بهذه الشهرة لا بد أن يأتي يوم وتظهر إلى العلن... وهذا ما حدث بالصدفة حين اضطرت سعدية إلى أن تذهب يوماً لقضاء الحاجة في حمام المدرسة، وتصادف دخول المعلمة صباح الهبلة، فأثار فضولها ما تفعله سعدية وقوفاً، وحينما رأت ما لا يرى كاد يغشى عليها من هول الصدمة، ركضت مذعورة تستنجد بالمديرة فتحية، دخلت دون استئذان، لاهثة متلعثمة تهمهم:

- سعدية عندها حمامة يا ست فتحية!!! حماااااامة

المديرة حازمة في المدرسة، ولا تميز بين طالبة وأخرى، حتى لو كانت حفيدة صديقتها سلمى، قالت:

- أوكي، خذي الحمامة منها وأعيدها لها بعد الدراسة، وأعطها إنذاراً حتى لا تحضر حمامتها معها إلى المدرسة مرة ثانية...

تجتهد صباح لتوضح الفرق بين "معها" وبين "لها" فقالت:

- سعدية لديها حمامة وليس معها حمامة!

لم توفق في جذب انتباه المديرة المنهمكة في كتابة ملاحظات على الأوراق التي أمامها، دون أن ترفع رأسها، ردت عليها:

- حسناً لقد فهمت... خذي الحمامة منها وأنذريها.

احتارت كيف تشرح للمديرة التي ما زالت مصرةُ على تجاهل هذا الاكتشاف العظيم، فقررت أن تتخذ خطوات عملية توفر عليها عناء الشرح الذي لا يوصلها إلى نتيجة! أدارت ظهرها وخرجت وعادت جارة خلفها سعدية:

- تفضلي يا ست فتحية الخصي وشوفي الحمامة!

فتحية اعتادت على هبل صباح منذ سنين، وحين انتبهت إلى ما تلمح إليه قررت أن تحسم الموقف فكشفت على سعدية، وظهر المستور، حمامة... حمامة...! فتحية تنظر إلى الحمامة باستغراب وصباح تقترب وتميل برأسها لترى بوضوح أكثر، ولحظات من الصمت والحيرة أنهتها المديرة بأن طلبت من سعدية العودة إلى مقعدها الدراسي، وعلقت صباح الفخورة باكتشافها:

- "شفتي حمامة سعدية بعينيك!؟"

أغمضت فتحية عينيها ومالت برأسها للخلف وتملكها شعور مقيت بأنها تعرضت للخداع من سلمى أعز صديقاتها، لم تجد تفسيرا وراء إخفاء

حقيقة جنس سعدية عن الجميع، لامت نفسها كيف أخفقت باكتشاف جنس سعدية كل هذا الوقت، ودعت المعلمات إلى اجتماع سري للغاية، ودون محضر اجتماع، حضرته الهبلة صباح؛ عانس معلمة لغة عربية وحساب ودين وتدبير منزلي وطب بيطري، والمعلمة ابتسام من عائلة تؤمن أن التعليم للبنات أهم من الأولاد ومن أجل هذا لا يهم إن تعلمت الفتاة في أقاصي الأرض، والمعلمة رجاء من المدينة ومتزوجة من أحد أبناء القرية ولم يتزوج عليها حتى الآن... انعقد الاجتماع، وافتتحته المديرة وشرحت للمعلمات ما حدث والأزمة التي ستواجهها المدرسة إن اكتشف الأمر.

علقت صباح:

- بنت وعندها حمامة عمرها ما صارت.

ردت عليها ابتسام:

- ولد يا صباح ولد.

المديرة فتحية تطلب من المعلمات الكف عن المزاح، وتشرح لهن أن وجود ولد في مدرسة البنات سيخلق أزمة كبيرة. وعلينا إخفاء هذا السر حتى أطلب من أهله أن ينقلوه إلى مدرسة الأولاد.

صباح بعفوية:

- "سعدية بنت كيف بدها تروح على مدرسة الولاد!"

ابتسام ترد:

- ولد ولد يا صباح ولد!

رجاء تعلق باستهزاء:

- ولد في مدرسة البنات، يا للهول!

فتحية على الرغم من رغبتها بالضحك على ما قالته رجاء فإنها تمنع نفسها للحفاظ على هيبتها وتعلق:

- المصيبة إن لم يقتنع أهل البلد أنها ولد وأصروا على أنه أنثى وقد نبتت لها حمامة، وهنا سيتوجب عليهم فحص الطالبات بحثاً عن حمامات، ولا أستبعد أن يتم فحص المعلمات أيضاً للتأكد.

ابتسام تسقط عن المقعد من شدة الضحك وتقول:

- وسيتم فحص صباح أولاً...

صباح تشعر بالإحراج وتدافع عن نفسها بعفوية، أما ابتسام فترفع رأسها للأعلى وتضم شفتيها لتنفخ الهواء وتدفع خصلة الشعر التي غطت وجهها وتقول:

- أنا شخصياً لن أعارض فكرة الحمامة إن كانت هذه الطريقة ستساوي الرجل بالمرأة!

المديرة تعاتب الحمامة

عادت سعدية إلى البيت، ولكن هذه المرة برفقة المديرة التي عاتبت سلمى وجميلة على إخفاء جنس سعدية عنها، وقالت إنه من الظلم أن يترك الولد في هذه السن يرتدي ملابس الفتيات ويتصرف مثلهن، فترد عليها سلمى إن الولد صغير ولن يميز ما يدور حوله، ولاحقاً ستعالج هذا الموضوع. انتهى الحوار على أن يكمل سعد هذا العام في مدرسة البنات وبعد ذلك ستقوم سلمى بنقله إلى مدرسة أخرى، وبعد العتاب ضحكت الأم والجدة والمديرة.

بالنسبة للجميع سعد (سعدية) ما زال طفلاً صغيراً لا يدرك ما يدور حوله، ولن يكترث في هذه السن إنْ كان "سعد" أو سعدية! ولم يسأل أحدهم "سعد" إنْ كان فعلاً يعي ما يدور حوله!

الأسرار والكبار

المعلمة صباح خير من حافظ على السر، ولكنها تأتمن أختها سناء على الأسرار كلها، سألتها إن كانت قادرة على حفظ سر خطير، فردت عليها:

- "أنا بس اللي بحفظ الأسرار شو السر".
- "حمامة يا حبيبتي، حمامة!".
- "قصدك الطائر الأهبل اللي ما بيطير ولا؟!".
- "حمامة، واكتشفناها عند بنت مش ولد... ومش أي بنت! أمها وأهلها عاملين خواجات!".

سناء تحاول التخمين:

- "جميلة زوجة سداس عندها حمامة!؟".

روت صباح لأختها القصة بالتفصيل الممل، وأوصتها ألا تخبر أحداً هذا السر الخطير، وأختها خير مؤتمن على سر! ولكنها تأتمن صديقتها... وصديقتها تشارك ابنة عمها أسرارها... وهي تشارك زوجها... وهو يشارك صديقه! ولكل سر أمين أسرار، وسر بهذا الحجم يخنق ويضغط على صدر كاتمه، ولا يجد الراحة إلا بعد مشاركته، وبما أن الخبر جاء على لسان الكبار... فقد حملته العصفورة وطارت به من حارة إلى حارة... حتى

حط في حضن مفتي الحارات والقارات والمحيطات وبعض الكواكب المعروفة، الشيخ أبو نعامة؛ ليقول ما يجب أن يُقال في الاجتماع السري جداً جداً جداً، خاصة أنّ الحديث يدور عن ابنة سداس ولا أحد يرغب في التورط معه، وعلى الرغم من السرية التي أحاطت الاجتماع، فإنّ رزق اللعيب الذي لم تتم دعوته أبداً إلى أي اجتماع، وصل قبل الحضور... يا لعيب يا خريب!

افتتح الاجتماع أبو نعامة وقال:

- "إنه عجب العُجاب أن تنبت للأنثى حمامة...! وحتى لا نقع في الإثم يجب أنْ نتبين حقيقة هذه الحمامة، وبعدها نتبين كيف دخلت إلى مدرسة البنات في غفلة منا!؟ ومن ساعد وتواطأ معها لتعشعش هناك!؟ وهل هي حمامة واحدة أم أنَّ هناك المزيد من الحمائم!؟؟ وقبل كل هذا يجب أن يتم فحص الحمامة جيداً".

علق أبو إسماعيل:

- "ومن سيفحص الحمامة يا شيخ؟".

أبو نعامة:

- "أنت ستقوم بالفحص والتدقيق يا أبو إسماعيل وتعود إلينا بالخبر اليقين".
- "لن أرمي نفسي إلى التهلكة وأفحص حمامة ابنة سداس".

أبو نعامة يوجه حديثه للعجوز:

- "اذهب أنت يا أبو محمود، فأنت أول من اشترى تلفزيون وقد شاهدت الكثير من الأفلام ولا بد أنها ستساعدك على الفحص".

أبو محمود:

- "خذ التلفزيون هدية مني وافحص وحدك ولا تورطني مع سداس المجنون!".

أبو نعامة:

- "إذاً، اذهب أنت يا مهران، فقد عملت مطهراً للأولاد، ولديك من الخبرة الكثير بالحمامات".

يرد عليه مهران:

- "اذهب أنت وافحصها، وصفها لي، وأنا سأخبرك بحقيقتها ونوعيتها... ولا داعيَ إلى أن تحملني ما لا طاقة لي به".

أبو نعامة"

- "وأنت يا لعيب! ألا ترغب في المشاركة باللعب؟ نعرف أنك إنْ لم تلعب ستخرب اللعبة... اذهب وعد إلينا بالخبر اليقين".

يرد عليه اللعيب:

- "وهل جننت أنا لألعب خماس بسداس! العب بها وحدك يا أبو نعامة، وهذه اللعبة ستطول كثيراً وأنا أعدك ألا أخربها!".

أبو نعامة:

- "اذهب أنت يا سلام، وكلنا نعرف أنك لم تتخاذل يوماً عن أمر فيه مصلحة البلدة".

يرد عليه سلام:

- "يشهد الله أني لم أتخاذل أبداً، ولكن هذه المرة قررت أن أتخاذل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!".
- "إذاً، لم يبقَ أمامنا إلا كبير القوم، أنت يا مختار، فأنت الوحيد الذي من خلال سجلاته نعرف عدد الذكور من الإناث، أليس كذلك؟".

المختار:

- "إنْ فحصت ابنة سداس فلا أستبعد أن يخطر بباله أن أفحص كل نساء البلدة للتأكد من أنه لم تحدث أخطاء كما فعلت مع ابنته!! ..... أليس كذلك يا أبو نعامة؟؟!!".

يحكُّ أبو نعامة لحيته:

- "حجة معقولة وقد أغفلتها، إذاً من سيتطوع لهذه المهمة النبيلة؟؟".

صمت الجميع، وبالتأكيد لن يتطوع أحد، ويعرِّض نفسه لانتقام سداس عاجلاً أم آجلاً... فقال أبو إسماعيل الخبيث:

- "والله يا شيخ، أنت علمتنا أن نقول ما تقول أنت وفي كل مرة تقنعنا أن القول قولنا وليس قولك، وأنا أقول بما أن القول قولنا، أنت فقط من ستفحص حمامة ابنة سداس!".

يرد أبو نعامة:

- "وهل يجوز لمن هو في مكانتي أن يذهب في هذه المهمة! وماذا سيقول الناس! أبو نعامة ذهب ليفحص الحمامة!".

أبو إسماعيل أراد أن يغلق الطريق في وجه الشيخ ويحرجه، فوقف وأخذ يهتف بأعلى صوته:

- "أشهد أنك يا أبو نعامة كبيرنا الوحيد".

ردد الجميع خلفه:

- "نشهد... نشهد!!".

تحمس المختار وتنازل عن مكانته لصالح أبو نعامة وهتف:

- "أشهد أنك أكبر مني".

ردد خلفه الحضور:

- "نشهد... نشهد... نشهد".

اللعيب:

- "أشهد أنك كبير وشجاع وأحسن لعيب في التلة!".

الجميع:

- "نشهد... نشهد... نشهد".

أبو محمود:

- "وأشهد أنك ما بتخاف من الحكومة!"

الجميع:

- صمت... وصمت... وصمت

وأمام هتاف الجميع برجولته وشجاعته وجد نفسه في موقف لا يحسد عليه، ولم يخفَ عليه أن القوم يسعون إلى توريطه في مشكلة مع سداس قد تتسبب في أحسن الأحوال في نتف لحيته وشاربه، وما كان ليزج نفسه بمثل هذه الورطة فقال:

- "أنا لها ولن أخيب ظنكم! ولكن عندي رجاء، أنْ نبقي الأمر سراً بيننا لا يعرف به أحد إلى حين عودتي من الحجاز".

أبو إسماعيل:

- "لا تخف سنكتم السر ولن يعرف سداس بما أنت مقدم عليه".

أبو نعامة:

- "أنا لا يهمني هذا الأزعر... ولكن لا أريد أن يظن الناس أننا كنا نغتاب أحداً... وأنت يا لعيب بالطبع ستأتي معي حينما أذهب للفحص".

يتنازل رزق عن قاعدته الشهيرة للمرة الأولى في حياته ويقول:

- "العب وحدك تطلع راضي، يا جار الرضا!".

انتصف الليل ووجب على القوم العودة إلى بيوتهم، وفي الطريق مال أبو إسماعيل على أذن المختار وهمس:

- "سأحلق شاربي إن لم يفحص سداس زوجات أبو نعامة الثلاث".

نام القوم... ونام معهم سر الاجتماع... وفي الصباح الباكر خرج أبو نعامة لقضاء بعض الحاجات وما إنْ رآه الناس حتى تجمعوا حوله وأمطروه بعشرات الأسئلة عن المهمة التي تطوع للقيام بها، هرب منهم

وهرول عائداً إلى البيت، وقبل وصوله بأمتار سمع عجوزاً تنادي عليه من بعيد بعفوية:

- "على مهلك يا أبو حمامة، بدي أسألك شو صار مع النعامة؟؟!!".

دخل إلى البيت وأيقن أن القوم قد رموا به إلى التهلكة وربطوا اسمه بحمامة سعدية. استقبلته زوجته حمدة الطرشة وسألته:

- "شو صار مع حمامة سداس بعد الفحص؟!!".

أبو نعامة وبصوت عالٍ حتى تسمعه:

- "قبحك الله يا امرأة، وأنا مالي ومال حمامة سداس لأفحصها؟!!" ومن نقل لك هذا الخبر المشين؟!!".

فردت حمدة:

- "لم يعد للناس حديث منذ الصباح إلا حمامة سداس وأبو نعامة!".

- "ويحك يا امرأة! أنتِ بالصراخ وبالإشارة بالكاد تسمعين وتفهمين، وإنْ كنتِ قد سمعتِ... فلا بد أنّ جارنا الأعمى قد شاهدني أتفحص الحمامة!! وأنا أقول إنّه قد آن الأوان لأبو نعامة أن يختفي ليتجنب الشبهات".

اختبأ وأوصى زوجاته أنْ يخبرن السائل أنه سافر إلى الحجاز ولن يعود.

مطاردة الحمامة

من سيفحص الحمامة في غياب أبو نعامة... الفضول دفع الكثير من الأهالي لزيارة المدرسة لعل وعسى يتوفق أحدهم في رؤية سعدية صاحبة الحمامة العجيبة، بعض النسوة اقتربن منها وبحركات خبيثة مقصودة عبثت أيديهن في الأماكن المحظورة، وتأكد الشك باليقين.

وكان لا بد لبعض الأهالي من أن يتخذوا إجراءات وقائية، كي لا تنتقل العدوى لبناتهم وتنبت لهن حمامة كحمامة سعدية... (والباب اللي بجيب الريح سدّه واستريح....!)، عشر طالبات انتهى مستقبلهن التعليمي على الفور بسبب لعنة حمامة سعدية.



سداس آخر من يعلم

كان لا بد لشقيقه أحمد أن يزف إليه الخبر السعيد، وتكرار القصة من أكثر من مصدر استفز سداس فتوجه إلى المزرعة ليتأكد مما سمع... وفور وصوله طلب من جميلة إحضار سعدية، ففعلت، ووقفت سعدية أمامه وهو لا يراها كثيراً وبالكاد يتذكر صورتها. رفع ثيابها وكشف عن الحمامة! فأصابته نوبة من الضحك أذهلت جميلة، التي كانت تستعد لردة فعل عاصفة من طرفه، سألها وهو يضحك:

- "شو هذا يا جميلة؟!".
- "حمامة يا حبيبي، حمامة...".
- "ولماذا اسم الحمامة سعدية؟؟!".
- "هذا ولد واسمه سعد ولو أعطيته من وقتك لاكتشفت الموضوع منذ سنوات".

اطمئن قلب جميلة، خاصة أن ردة فعل سداس كانت معاكسة لكل التوقعات. سألته إن كان كلام الناس حول سعدية قد أزعجه، فرد عليها بأنه لم يسره أمر أكثر من انشغال الناس بحمامة ابنه، وأنه لا يأبه إن كان اسمه سعد أو سعدية، وقال:

- "(حمامة ابن سداس بتنباس وبتنحط على الراس) ولن أقص شعره أو أغير اسمه حتى أنتف لحية أبو نعامة شعرة شعرة لأعلمه كيف يتجرأ ويفحص ابنتي!".

ردت عليه جميلة:

- "هذا ولد يا سداس!".
- "أبو نعامة لا يعرف أنه ولد يا جميلة والأعمال بالنوايا".

ضحكت جميلة وسداس ومن قبلهم ضحكت سلمى وغرق سعد في بحر من الأسئلة عن هويته ومن يكون، ولم يفهم يوماً الأسرار التي تحيط بالحمامة، حتى اعتقد أن فيه علة، والشيء الوحيد الذي تغير في حياة سعدية هو الاهتمام والحب المفقود من أبيه الذي لم يشعر به يوماً، وعاد وتدفق إليه مرة واحدة.

قرر سداس اصطحاب ابنه سعد خارج مزرعة التلة متوجهاً إلى البلد للقيام بجولة تعارف مع باقي أفراد العائلة، وأوصاه أن يخشن صوته، وأن يتجنب مناداته بـ"بابا" ويستعيض عنها بــ"يبُبااااه"، وشرح له عن غمزات جدته شفيقة، ومتى يجب أن يكون حذراً.

وصل الأب والابن واستقبلتهم شفيقة وفرحت بزيارة سعدية، خاصة أنها لم ترها إلا مرة واحدة في المزرعة عندما أنجبتها جميلة... وما إنْ رأتها:

- "ما شاء الله ما شاء الله!! أحلى من الوصف، اللهم صلِ على النبي!!".

حضنتها وقبلتها وأخذت تفكر بالحمامة وما قيل عن الحمامة، وغمزة شمال... غمزة يمين... سعدية يهمس لوالده:

- "ياباااااه... جدتي بتفكر صح... صح؟؟!".
- وغمزه يمين... غمزتين شمال...

سعدية يهمس لوالده:

- "ياباااااه جدتي بتكتك right؟؟".

وبعد تفكير وتكتيك، وجدت شفيقة الخطة التي من خلالها سترى حمامة سعدية... غمز وحاجبان يرقصان، واحد للأعلى وآخر للأسفل...

سعدية:

- "ياباااااه! الحاجبان يرقصان... هناك خطر!؟ هل أهرب أم ماذا أفعل؟؟".

سداس:

- "اختصر واخلع بنطالك خليها تشوف وترتاح!".

يخلع سرواله بخجل شديد... شفيقة مندهشة لا تصدق ما تراه! وعيناها تكاد تخرج من مقلتيها وتقول:

- "حمامة! آه حمامة! والله حمامة! هاي حمامة!".

تقترب من سعدية لتلمسها للتأكد من أنّ ما تراه حقيقة وليس وهماً، ولكنه يخاف ويرفع بنطاله بسرعة، سداس يضحك ويقول:

- "مسموح المشاهدة ممنوع اللمس يا حجة! هذا صبي وليس فتاة... اطمئني!".

شفيقة محتارة وتسأل:

- "طيب شو بدك تعمل مع الحمامة، والله هاي مشكلة كبيرة!".
- "مالك يا حجة، هذا ولد، طبيعي يكون عنده حمامة".

شفيقة تفكر، غمزة شمال... غمزة يمين... وتقول:

- "ولد، سعدية ولد، فكرة ذكية ... بس الحمامة شو؟".

سداس مازحاً:

- "الحمامة بنت وسعدية ولد!".

غمزات كثيفة يرافقها رقص حاجبين، سداس يلفت انتباه سعدية إلى أن هذا النوع من الغمز ينبئ بمصيبة، ويتطلب الهرب السريع، فتبتسم

شفيقة وتقول إن لديها خطة مضمونة للخلاص من الحمامة دون معرفة أحد، ما قالته استفزه فرد عليها:

- **"اسم الله عليك يا حجة، هذا ولد! ذكر! ديك!".**

شفيقة تفكر وتغمز:

- **"والله هاي مشكلة يا سداس".**

رد عليها:

- **"طيب كيف ممكن إقناعك إنه ديك مش دجاجة؟!".**

استحال عليه إقناعها، فتركها ليكمل جولته، وأخذت تنادي عليه وتوصيه أن يذهب ليطمئن إلى والده؛ فهو مريض منذ أكثر من عام، ولكنه لم ينتبه إلى ما قالت. بعد ساعات انتهت الجولة بسلام وعادت سعدية إلى المزرعة.

يوم الحساب مع أبو نعامة . . .

حان وقت الحساب، توجه سداس إلى بيت الشيخ أبو نعامة، ودق بابه ففتحت له حمدة الطرشة، فقال لها:

- "إذا سمحت يا عمي الحاج، أن تذهب وتنادي على أبو نعامة".

عبثاً حاولت حمدة أن تقنع سداس أنها امرأة وليست رجلاً، ثم لم تجد مفراً من مجاراته، فسألته طلبه من الشيخ، فرد قائلاً:

- "أريد نتف لحيته وتعديل شاربه فقط!".

تذهب حمدة إلى زوجها وتخبره أن حلاقاً في الخارج يريد أن يراك لينتف لحيتك ويعدل شاربك، فصرخ عليها:

- "أيتها الحمقاء ألم أوصكِ أن تخبري الجميع أنني في الحجاز!".

ينظر عبر النافذة ويرى سداس، ويعود إلى حمدة:

- "الله لا يوفقك، هذا سداس!".

تخرج حمدة مسرعة وتقول:

- "اسمع يا سداس، أبو نعامة في السعودية وليس في البيت".

طلب منها سداس أن تخلع ثوبها ليفحصها، فصرخت وتجمّع الجيران، حضر جارها رزق اللعيب وعاتبه، وأخبره أنه ليس من شيمه التعرض

للنساء، فأجابه إنه يشك في كونها رجلاً، وحسم الموضوع يتطلب فحصها. سأل اللعيب إن كان يرغب في المشاركة في اللعبة أم سيخربها، رد عليه:

- "أنا أعلنت بكل صراحة أني لن أشارك في لعبة الحمامات، سأراقبها ولن أخربها".

فوجه اللعيب كلامه لحمدة، وطلب منها أن تدخل إلى السعودية وتطلب من أبو نعامة الخروج ليلعب مع سداس، فخرج أبو نعامة على مضض بعد أن وجد ألا مفر أمامه سوى المواجهة، فانقض عليه سداس وأمسك لحيته وتدخل الجيران فأفلت من قبضته، وفشل سداس في تحقيق هدفه ونجا الشيخ بريشه، وكان لا بد من الإصلاح بين الاثنين، وهنا جاء دور المختار أبو جمال، الذي أصر على أنْ يجمع الطرفين في بيته للتصالح. وافق سداس مرغماً، وقرر استغلال ابنه سعدية لإهانة أبو نعامة، والأطفال لا يلومهم أحد، خطط لذلك جيداً ولم يبقَ إلا تدريب سعدية على كيفية الهجوم على لحية أبو نعامة... اصطحبه إلى أطراف المزرعة الواسعة ليدربه على المهمة السرية، التي لا يجوز أن يعرف عنها أحد، وأوضح له أنه حان الوقت ليتعلم الرفس كالبغال، ليحترمه الناس، وبعدما أنهى تدريبه سأله من يكون، فرد عليه:

- "أنا بغل يااااباااااه! بغل ابن بغل".

عادا معاً إلى البيت، واستقبلت جميلة ابنها سعدية بالأحضان:

- "شو عملت اليوم يا حبيبي؟".

سعدية يخشن صوته:

- "تعلمت أن أكون بغل ابن بغل يمااااه".

سداس يغمزه بطرف عينه، فيدرك أنه أخطأ قليلاً، فيصحح لسانه قائلاً:

- "لعبنا أنا والبابا... يا ماما".

حل الصباح واستيقظ سعدية باكراً بكل حيوية ونشاط على غير عادته، خاصة أن هذا اليوم يوم المهمة التي تدرب عليها كثيراً... تناول طعام الإفطار وخرج بصحبة والده في جولة في أنحاء البلدة، وبعد صلاة الظهر توجه الاثنان إلى بيت المختار، لتناول الطعام مع عدد من وجهاء البلدة، على شرف إنهاء الخلاف بين سداس وأبو نعامة.

بعد حديث وكلام جميل عن المحبة والتسامح والإصلاح، طلب المختار أن يتم إحضار الطعام، فأعطى سداس الإشارة لسعدية للبدء بمهمته التي تدرب عليها مراراً وتكراراً. كان الهدف أبو نعامة صاحب اللحية الطويلة... فقام سعدية وأخذ يسلم على الموجودين، حتى وصل إلى أبو نعامة الذي يجلس إلى جانب المختار وكلاهما ملتحٍ، ومد يده ليصافح المختار، ومن ثم أمسك بلحية المختار وشدها إلى الأسفل وبصق عليها،

وحاول المختار تحرير لحيته من يد الصغير، وبحركة لا إرادية عض سعدية أنف المختار. صرخ المختار من الألم وقفز سداس ليتفادى الموقف، سحب سعدية بعيداً عن أنف المختار ليهرب إلى بيت عمته عفاف أو جدته بناء على الخطة المرسومة مسبقاً.

الذهول أصاب الجميع والدم تطاير من أنف المختار يمنة ويسرة... الكل يحاول إسعاف المختار الذي يضع يده على أنفه، ولا يكف عن الصراخ. وصل الطبيب وبعد جهد جهيد استطاع إيقاف النزيف، وتبين أن جزءاً من أنف المختار قد اختفى، وبحركة لا إرادية أخذ الجميع يبحث على الأرض وبين الأقدام عن الجزء المفقود من أنف المختار الشهير الملقب بـ(الفجلة)، وطُرد سداس لأنه لا يجوز أن يبقى، وسعدية الخصم والغريم.

عاد سداس إلى بيت والدته فوجد سعدية يجلس في حضن عمته عفاف، ويروي لها ما حدث بافتخار وسعادة، وما إن رأت سداس يطل من الباب حتى أصابتها نوبة من الضحك، وسعدية يضحك على ضحكها، سداس لم يكن سعيداً بما حدث وخطر في باله أن يصفع سعدية على هذا الخطأ القاتل، ولكن حبه الكبير له منعه من ذلك، وسأله:

- "وين رحت في المنخار؟؟".

- "بلعته ياباااه....".

عفاف تضحك:

- "شو اللي بلعته يا سعدية؟!".
- "منخار الشيخ يا عمتو".

عفاف تسأل سداس ساخرة:

- "هذا الولد ابن جميلة ولا ابن علوش؟!".
- رد عليها:
- "للأسف سعدية لم يلتزم بالخطة، وقام بعض أنف المختار".

ووجه سداس كلامه لسعدية:

- "وأنت يا سعد، ما الذي خطر في بالك لتمسك لحية المختار؟؟". وتقطع منخاره وتبلعه!! كثير والله! بالأمس ماما وبابا واليوم بلع وقطع مناخير!".

سعدية ببراءة:

- "يعني الخطة نو چود؟؟ يااااباه".
- "الخطة نو چود.... ونو منخار المختار! وحينما تعود إلى المزرعة إياك أن يعرف أحد بالموضوع ... خليه "سيكرت" للآخر".
- "سيكرت سيكرت يااااباه؟؟".

- "شو هاي يااااباه؟! خلينا على بابا وماما... أسلم وأقل خسارة...".

وجد سداس نفسه في موقف لا يحسد عليه، خاصة أن المختار صديق والده الحج نخري، وما حدث أحرجه كثيراً... بذل جهداً كبيراً عبر الوسطاء لإصلاح المختار كما هو متبع، ولكن المختار وبتحريض من أبو نعامة، الذي وجدها فرصة للانتقام من سداس على ما فعله معه، أصر على أن العين بالعين، والسن بالسن، والمنخار بالمنخار، ولن يرضى بأقل من ذلك... وهنا قرر الوسطاء بعد موافقة الطرفين على اللجوء لقاضٍ عشائري لكي يبت في الأمر.

وفي بيت القاضي الشيخ أبو طراد... وقف أبو نعامة لسان حال المختار والمتحدث باسمه وقال:

- "يا قاضي يا قاضينا ياللي بالحق تِرضينا، في اليوم والتاريخ والساعة دخل سداس إلى مجلس المختار، لتناول طعام الغداء واستقبله أحسن استقبال، ولم يكن يعلم أنّ سداس قد جاء ليغدر به ويقتله بمساعدة ابنته البالغة العاقلة سعدية، وحينما حضر الطعام وبتحريض من سداس أوعز لابنته أن تأخذ المختار على حين غرّة، وبأسنانها الحادة تقطع أنفه وتأكله... واختلطت

الدماء بطعام ضيوفه، وما عاد قادراً على التنفس أو شم الروائح... ونحن نطالب، وهو حق لنا، بأن العين بالعين والمنخار بالمنخار...".

القاضي أبو طراد:

- "وما قولك يا سداس".
- "يا قاضي يا قاضينا، خير الكلام ما قل ودل... واللبيب بالإشارة يفهم، سعدية طفلة صغيرة جاهلة بريئة، لم تبلغ الثامنة من عمرها، وببراءة وعفوية قامت لتصافح المختار، وحينما وصلت إلى حيث يجلس، قام أبو نعامة بمد يده باحثاً عن حمامة واختلط الأمر على الطفلة البريئة، واعتقدت أن المختار هو من لامسها، ودفاعاً عن شرفها عضته من أنفه وحدث ما حدث... بسبب الفعل المشين الذي قام به أبو حمامة... قصدي نعامة".

القاضي مستغرباً مما يدور من حديث، يسأل المختار وأبو نعامة:

- "هل جئتم لمقاضاة فتاة صغيرة؟؟".

ثم وجه كلامه لسداس:

- "في مجلسي تُسمى الأشياء بمسمياتها، هل تقصد بالحمامة نوعاً من أنواع الطيور بحث عنه عند ابنتك؟ أم هو تسمية عامية لشيء آخر؟؟".

رد عليه سداس:

- "ليتس لها علاقة بالطيور! واسأل أبو نعامة فهو خبير في هذا النوع من الزواحف".

أبو نعامة:

- "أولاً، نحن نقاضي في مجلسك والد سعدية، وهو المسؤول عن أفعالها، ونطالب بمنخاره بدلاً من منخار المختار... وثانياً، أنا لم أقترب من حمامة سعدية ولم ألمسها".

القاضي:

- "وهل سعدية ذكر أم أنثى؟".

أبو نعامة:

- "يا قاضينا ليس بالأمر المهم إنْ كانت أنثى أم ذكر، ركز أنت على الحمامة فقط. وأنا أقترح أن تقوم إحدى النساء بالكشف على سعدية، وإنْ تبين أنّ لها حمامة، سنطالب بمنخار سداس بدل منخار المختار وإنْ لم يتبين، نتنازل عن كل حقوقنا فوراً!".

القاضي:

- "ونعم الرأي، وهذا سيحسم القضية سريعاً".

رد عليه سداس:

- "ومن ستتطوع من النساء لمثل هذه المهمة؟! والمثل يقول (شارِك بجنازة ولا تفحص حمامة)".

فبادر أبو نعامة إلى قطع الطريق أمام سداس ومنعه من التهرب لحسم الموضوع:

- "زوجة القاضي أو إحدى قريباته، فهو القاضي وسيتدبر أمره".

رد القاضي على عجالة ليتخلص من الموضوع:

- "أحضر سعدية وسأجعل زوجتي تفحصها لقطع الشك باليقين".

يبحث سداس في الجزء الآخر في دماغه لعله يخرجه من هذه الورطة وقال:

- "ونعم الرأي، فحص الحمامة يحتاج إلى خبرة زوجة قاضٍ، وسيشهد لها العرب أنها خير من فحصت، وأتمنى ألا يتهمني أبو نعامة أو يتهم أحد العرب بما يحتاج إلى فحص من زوجة القاضي!".

القاضي فطِن لما ألمح إليه سداس وأدرك أن هذه القضية ستجعل منه أضحوكة بين العرب، فاعتذر على الفور عن تولي هذه القضية. وتولاها من بعده القاضي أبو سلامة الإبليس، الذي لم يعجز يوماً عن حل قضية. صادف أن أبو سلامة على علاقة طيبة بالشيخ أبو نعامة، وقد استعد لمواجهة دهاء سداس، وأراد أن يحسم القضية سريعاً، فسأل سداس إنْ كان يسمح بإحضار سعدية إلى مجلسه، لتقوم عدة نسوة بفحصها بوجود والدتها، دون الإعلان عن هوية الفاحصات لتجنب القيل والقال، وبناء على نتيجة الفحص نضع الأمور في نصابها.

سداس يجد أن هذا القاضي ليس سهلاً، وقد تعلم من تجربة الذي سبقه، فقال:

- "وهل هذا الأمر يحتاج إلى أن نجمع نساء العرب من أجله؟! ولنفترض أنه تم الكشف على هذه الأنثى وتبين أنَّ لها حمامة، ولله في خلقه شؤون، ماذا سيقول العرب عنك يا قاضينا؟!!".

فرد عليه واثقا من نفسه:

- "سيقول العرب، أبو سلامة حسم قضية الحمامة".

أبو نعامة يبتسم ويداعب لحيته فرحاً بعد أن وجد أن سداس في موقف لا يحسد عليه، وقال:

- "أحسنت القول يا قاضينا".

سداس ساخراً:

- "إن كشفنا على البنت ولم نجد حمامة، سيقول العرب وعلى مر السنين... عند القاضي أبو سلامة يتم فحص البنت للبحث عن حمامة... وإن تبين بقدرة قادر أن لها حمامة، سيقول العرب، في مجلس أبو سلامة نبتت للبنت حمامة... وسيقولون أيضاً ومَن غير أبو سلامة قادر على أن يثبت أن للبنت حمامة... وماذا ستجرُّ هذه الحمامة خلفها من معانٍ وتفسيرات! ولسان العرب فصيح، والديك قد يبيض ولا يصيح! والبنت لها حمامة بشهادة أبو سلامة! واختلف حمقى العرب إن كان للبنت حمامة ولم يجدوا قاضياً غير أبو سلامة!! ليجمع نساء العرب للبحث عن حمامة!".

فوقف أبو سلامة قبل أن ينهي سداس حديثه وقال:

- "خذ منخاري يا مختار، وابعد عني هذه الحمامة الملعونة، وقولوا أبو سلامة اعتزل القضاء".

امتنع كل القضاة الصغار والكبار من الاقتراب من قضية الحمامة، حتى لا يكونوا محط سخرية العرب ونكاتهم... وسداس الذي حلم لليل نهار بأن يصبح مثل جده عبود، كان يجد في مقاضاة أبو نعامة أمراً مسلياً، وضاع منخار المختار ولم يتم الكشف عن حمامة سعدية.



مزيد من الروايات للكاتب فوزي عبده تجدونها الآن
على الموقع الالكتروني



عقاب الحمامة

قرر سداس أن الوقت قد حان ليرفع الستار ويكشف عن الحمامة العجيبة في احتفالية لم تشهد التلة لها مثيلاً، وأعد لهذه المناسبة بقرة وابنها العجل، ودعا الناس لتناول الغداء والاحتفال معه بحفل ختان ابنه سعد... وكانت الدعوة عامة لكل من يرغب أن يشاهد ويتشرف بمقابلة الحمامة وجهاً لوجه، والتأكد من أن سعدية ذكر لا أنثى... وتوافد إلى الحفل المئات لتناول وجبة دسمة ومشاهدة المعجزة.

احتشدت الجماهير في ساحة المحجة شفيقة، واحتل كبار السن المقاعد الأمامية الأقرب إلى وسط الساحة، والأصغر سناً الصفوف الخلفية، والأولاد خلف الخلف، والنساء خلف كل خلف.

ووصل السفاح مهران قاطع أعناق الحمامات يحمل حقيبته الجلدية وتموضع وتربع في وسط الساحة وشحذ سكاكينه في انتظار وصول الحمامة العجيبة. برم سداس شاربه ورحب بالضيوف وطلب منهم الاستعداد لاستقبال سعد وليس سعدية، وتهامسوا في غيابه:

– "يريد أن يتستر على حمامة ابنته ويوهمنا أنها ولد".

والمسكينة سعدية كانت آخر من تعلم بما ينتظرها، ولم تتكيف بعد مع فكرة أنها سعد وليست سعدية، ولم تدرِ بالاحتفال العظيم الذي أقيم على شرف حمامتها، حمل سداس ابنه سعد على كتفه دون أن يمهد له ما سينتظره في الخارج وعاد إلى الساحة، وحبس الحضور أنفاسهم في انتظار اللحظات الأخيرة للكشف عن الحمامة، لحظات فقط وستظهر حمامة سعدية إلى العلن.

أمسك سداس بيديه حتى لا يتحرك وآخر أمسك بقدميه، وتمت السيطرة على الضحية، وقام مهران بالاستعداد للكشف عن الحمامة... وتدافع من بالصفوف الخلفية للاقتراب أكثر، وسقط أحد الشبان فوق مسن في الصفوف الأمامية، وانتفض حفيد المسن ووجَّه لكمةً للشاب وانتفض آخر ليدافع عن الأول، والنخوة والشجاعة العربية تتجلى ما دام هناك جمهور، فانقسم الجمع إلى ثلاثة أقسام، ودوت الحناجر بالسباب والشتائم، واللكمات مرت على الوجوه، لكمة شمال... لكمة يمين.

والكراسي تطايرت وتحطمت فوق الرؤوس، ومنطق القطيع غلب منطق سداس وأفسده، ومهران تجاوز طقوس الاحتفال ونفذ مهمته بسرعة ولملم سكاكينه وهرب، ولاحقاً حينما سألوه لم يستطع وصف الحمامة التي حضرت بين يديه، وانتقل الشجار إلى الشارع العام، وجاء المدد لكل

فريق، وتطايرت الحجارة فوق الرؤوس، وحجر مدور أملس حلّق عالياً وهبط على أحد الرؤوس، وأصاب وقتل، وانشغلت التلة كبارها وصغارها بفك الشجارات وإخماد النيران التي اشتعلت في الكثير من البيوت ثأراً لدم المقتول، والقاسم المشترك الذي جمع بين أهل القاتل والمقتول أن مصيبتهم كانت بسبب الحمامة الملعونة.

سعدية المسكينة التي خطفوها من أجواء اللعب والضحك ليستعرضوا حمامتها تفاجأت بحجم الحضور، وانعقد لسانها قبل أن يثبتوها أرضاً، ولم تجد تفسيراً لما حدث معها وما الذنب الذي اقترفته لمعاقبتها! ولماذا جُنَّ جنون الناس فور مشاهدتهم الحمامة! والأكثر إيلاماً كان لماذا فعل بها والدها هذا الشيء الفظيع؟! ولم يهب أحداً لنجدتها وأمام غموض عالم الكبار، امتنعت عن الكلام حتى اعتقدوا أنها أصيبت بالخرس.

لقاء الحاج فخري والحمامة

مر شهر على ختان سعدية الاستعراضي. قرر سداس أنه حان الوقت لقص الشعر الذي يخفي سعد، واصطحبه معه إلى البلدة، وحينما وصله خبر أن والده مريض منذ أكثر من عام قرر زيارته، ودخل إليه وكان محاطاً بالزوجات والأبناء والأحفاد شركائه في الميراث.

نخري الفارس الوسيم الذي أسقطته غمزة من شفيقة عن ظهر حصانه قبل أكثر من خمسة وأربعين عاماً، ذبل ولم يبق منه إلا الثلث، واحتلت التجاعيد وجهه، وطال أنفه ويبست شفتاه، وابيضت لحيته وخلت من الأسود، وشاربه العنيد انقلب إلى فضي، وعلى الرغم من ضعف بصره وذبول عينيه فإنه لاحظ مخلوقاً لم يره من قبل برفقة ابنه سداس. أخذ الحاج يحرك عينيه إلى الأعلى ليفهم من حوله أنه يتوجب عليهم أن يرفعوه ويسندوا ظهره. تسمرت عيناه نصف المغمضتين على سعدية، وأطل طرف لسانه من بين الشفاه، وبادر سداس ليوفر عليه عناء السؤال وقال:

- "هذا حفيدك سعد".

وغمغم الحاج:

- "س سع سع سعدية حماااامة".

ابتسم سداس، وطلب من سعد أن يقترب ويقبل يد جده ويكشف عن حمامته ليمتع جده بمشاهدتها، سعدية تتصنم تجلاً، فيتدخل سداس ويخلع عنه ما ستر الحمامة، ولم يبق أحد إلا وأمال رأسه وحدق ليحظى بمشاهدة الحمامة العجيبة، عينا الحاج نخري تحدق باتجاه الحمامة ويرفع يده وكأن الحياة عادت إليه فجأة، ويشير بإصبعه ويتمتم:

– "حا ما ما ما...حاااااماااامة".

وترتخي عضلات رقبته ويميل رأسه، ويخبو ما تبقى من نور الحياة في عينيه، ويصرخ من حوله:

– "يا حاااااااج...! يااااااحاج...! ياا حاج...! يا أبي! يا جدي! يا عمي! يا خالي! يا زوجي! يا ...!!".

لا حياة لمن تنادي، الحاج لا يرمش، لا يتنفس، ولا يتحرك، الحاج نخري مات، مات! وما هي إلا لحظات وتجمعت النائحات، وعلى إيقاع لطم الخدود أنشدن:

"الحاج نخري مات مات... شاف الحمامة وماات...!!

عامود العيلة مات مات ... وقع من طوله وماااااات...!

يا ريت سداس ما فات فات... والحج ما شاف وما ماااات...!

الله يسامح سداس... لو فكر مثل الناس

وما جابها من الأساس... ولا وقع الفاس بالراس
وهذا الوسواس الخناس... وسوس في راس سداس
جاب الحمامة وفات فات... وكبير العيلة شاف ومات"

دقائق وكأنها الدهر مرت على سعدية، تصنمت وغرقت في كابوس يوم القيامة، الكل من حولها يصرخ، يبكي، يلطم، ويلعن الحمامة الملعونة التي قتلت عميد العائلة، الحج نخري أبو أبو نخري ابن الشيخ عبود شيخ شيوخ العرب مات، وقالوا نعم، هو منذ عام يحتضر، ولكنه في صباح هذا اليوم المشؤوم ابتسم، واستبشروا خيراً بأنه في طريقه للشفاء، لولا أن دخلت الحمامة الملعونة وقتلته في عقر داره، لم يحتمل المسكين الصدمة وتوقف قلبه عن الخفقان... ومات مات... شاف الحمامة ومات!.

سعدية تعود عدة خطوات للخلف للبحث عن طريق للهرب من حمامتها والبلاء الذي جلبته لهذا البيت المطمئن، الناس تتوافد من كل الطرق فُرادَى وجماعات باتجاه بيت القتيل... سعدية تركض وتركض للنجاة بحياتها بسبب جريمة غامضة ارتكبتها الحمامة. أربع ساعات مرَّت على وفاة الحاج، وسعدية ما زالت تركض بلا اتجاه للنجاة بحياتها.

أُعدّ كل شيء حسب الأصول للجنازة المهيبة التي شاركت بها جموع غفيرة، جثمان الحاج يُوارى تحت التراب، واذكروا محاسن موتاكم! وحفل الاستغابة كان قد بدأ قبل ساعات...

تتابعت الهمسات من واحد إلى آخر:

- "الحاج نخري كان محترماً، وقليلاً مش محترم... بس مليح إنه كان فيه مليح".
- "رحمة الله عليه، كان ابن حرام وصاحب واجب".
- "رحمة الله عليه، سرق ونهب أراضي الناس، والله تاب عليه وبنى جامع كبير".
- "استغفروا الله يا عالم، خيره كان أكثر من شره، كان سافل شوي صغيرة بس!".
- "الله يرحمه، فتح للناس طريق من الأرض اللي سرقها من دار زغلول، وسهَّل عليهم الله يسهل عليه!".

أحد الحضور يهمس بأذن آخر:

- "الله لا يرحمه، الله لا يوفقه، يا رب جهنم تحرق عظامه! وقبره تعشش فيه الأفاعي والعقارب اللي مات وارتاح وتركلنا وراه ابنه سداس!!".

انتهى الدفن ومعه الفرصة الأخيرة لبصق بعض الكلمات على قبره قبل الانتقال لتقديم العزاء:

- "عظم الله أجركم يا إخوان".
- "شكر الله سعيكم!".

سداس الذي طالما اعتبر الحاج خصماً ومنافساً له، وبذل كل الجهد للتفوق عليه بتعدد الزوجات وجمع الأموال، تأثر بموته، وكان لابد أن يقوم بواجبه كاملاً، وكيف لا وهو عميد العائلة من بعده، وفي ظل تسارع الأحداث لم يفطن لغياب سعد، وحينما هدأت الأمور أرسل من يبحث عنه في كل مكان، وحينما لم يجده صرخ بأعلى صوته:

- "أين ابني سعد؟؟ أين سعدية؟؟".

ركضت سعدية ساعات طويلة وما كانت لتتوقف إلا لدقائق لتلتقط أنفاسها، هربت لتنجو من عقابٍ بسبب الجريمة التي اقترفتها حماتها، كانت تتمنى لو أنها تركتها خلفها، ليعاقبوها كما يشاؤون ويتركوها وشأنها، لكن هذه اللعنة تصاحبها وتهرب معها إلى المجهول.

حل الظلام وحل معه الخوف، وهي لم تعتد البقاء وحيدة إلا في مكتبة جدها، فتقفز إلى مخيلتها القصص التي قرأتها عن الغيلان وتشعر بأنها تختبئ في العتمة وتترصدها، تلتفت للخلف وتقرر العودة إلى حضن أمها

الدافئ، على الرغم من أنها تلومها أيضاً لتقاعسها في الدفاع عنها كالبقية، حينما قرروا معاقبتها في يوم الختان.

تبتسم وتشعر بالأمان وهي تتذكر قصة الملاك الأبيض الذي يحرس الأطفال الطيبين، ولكن هي طيبة وحمامتها شريرة!! والملاك لا يحمي الأشرار، تسمع نباح الكلاب من بعيد، وتعود للركض، تقودها ساقاها إلى عربة كبيرة مليئة بالأغنام، فتختبئ بينها، الركض أرهقها والنعاس كان أقوى من الخوف... العربة تشق طريقها ساعات باتجاه آخر بعيداً عن التلة، تشقشق عيناها وتستيقظ، الظلام تبدد والشمس عادت، ترفع رأسها وتقف على قدميها، تنظر حولها وتدرك أنها في عربة لنقل الأغنام، وهذا النوع من العربات قد رأته كثيراً في مزرعة التلة، اعتقدت أنها في طريقها لمزرعة جدتها. وقررت أنه فور وصولها المزرعة ستتسلل لتختبئ في مكتبة جدها، ولن تسمح لأحد برؤيتها، حتى لا تعاقب من جديد.

يمر الوقت وتشتد حرارة الشمس، ومعها العطش والجوع الذي لم تعتده هذه الصغيرة من قبل، تتوقف العربة، ترفع رأسها لتجد نفسها في مزرعة أخرى لا تشبه مزرعة جدتها في شيء، تتسلل من قفص العربة لتبحث عن شربة ماء، فتدخل إلى حظيرة الأغنام، تسمع صوتاً قادماً فتختبئ

خلف أكياس العلف، تنظر بعين واحدة من خلفها، وترى رجلين ضخمين ومعهما صبي صغير.

تبدأ الخراف بالدخول إلى الحظيرة والولد يسبقها وتتلاقى عيونهما، ويدور بينهما حديث صامت بلغة العيون، فيتراجع الصبي بهدوء إلى الخلف ويغلق باب الحظيرة خلفه، سعدية تبدأ البحث عن مخرج للهرب قبل أن يُقبض عليها ويتم تسليمها لتنال عقابها... ولكن المخرج الوحيد من الباب وصوت الرجلين والولد يعترض طريقها، تلاشت الأصوات وساد الهدوء... ثم انشق باب الحظيرة وأطل منه الولد وسأل صاحبة الشعر الطويل:

- "شو اسمك إنت؟؟".

سعدية بصوت مرتجف:

- "اسمي سعدية".

عرفها الفتى على نفسه باسم حمد، وقال لها إنه على يقين بأنها هربت من عقاب أهلها، وأخذ يشرح لها عن الطرق التي يتبعها أهله في عقابه، ومنها تنظيف الحظيرة وساحة البيت، وتفاخر بحبه للتمرد كثيراً، وعدم اكتراثه بعقابهم، وسألها إن كانت تُعاقب بالطريقة نفسها أم أن هناك طرقاً مختلفة لعقاب الفتيات، سعدية تتذكر عقابها الأخير وتجهش بالبكاء

ويبذل حمد جهده لتهدئتها، وهو الذي لم ير أحداً يبكي بهذه الشدة فيبكي لبكائها، ويعرض عليها أن يخفيها بغرفته ويحميها ممن يسعون في أثرها. نجح حمد في إخفائها عن أمه نعيمة ووالده جاسر عدة أيام، وهرّب لها الطعام خلسة، وتجنب ممارسة هوايته بالمشاغبة كي لا يعاقب ويلفت انتباه أهله إلى السر المختبئ في غرفته، وسعدية لم تتحدث عن عائلتها وقصتها، تشاركت مع حمد في إنجاز واجباته المدرسية.

عشرة أيام وتوثقت الصداقة بين الصغيرين، الأم نعيمة ارتابت كثيراً من التغير الكبير الذي طرأ على ابنها، هدوء لم تعتده من قبل، ترتيب الغرفة، لا شكاوى من المدرسة ولا من الجيران... هذا الأمر أقلقها وبدأت تراقب، لاحظت تهريب الطعام والحليب إلى الغرفة، فتنصتت من خلف الباب وسمعت ما لا يصدقه عقلها، ابنها يقرأ كتابه المدرسي! ومن سعادتها فتحت الباب ورأت فتاة جميلة تجلس بجانب ابنها وتساعده على القراءة! احتارت قليلاً، فهذه ليست من بنات الجيران، ابتسمت وسألت:

- "ابنة من أنت يا خالتي؟؟".

ظهر الخوف على مُحَيّا سعدية ولم تجب على السؤال، أدركت نعيمة أن الصغيرة خائفة من أمر ما، فاقتربت منها بهدوء لتشعرها بالأمان، سعدية بدأت تشعر بالراحة قليلاً تجاه هذه المرأة، ولكنها خائفة أن تتم إعادتها

وتعاقب، وبذكائها تذكرت إحدى القصص التي قرأتها عن فتاة يتيمة تعيش في الشوارع، لا أهل لها، أخذتها امرأة شريرة لتعمل لديها خادمة في البيت، وعذبتها حتى تمكنت الفتاة من الهرب بعيداً... روت القصة بتفاصيلها الدقيقة للأم، فتأثرت وسالت الدموع من عينيها لعذاب هذه المسكينة، حضنتها وقبلتها وطمأنتها... ثم أحضرت لها ثياباً نظيفة، وأصرت على أن تحممها، ولكن سعدية رفضت إلا أن تستحم وحدها؛ فهي لا تريد أن ترى أم صديقها الحمامة الشريرة، التي أغضبت كل الناس وطردتها من البيت... تفهمت الأم خجل الفتاة وتركتها على راحتها".

حين حضر زوجها جاسر روت له قصة المرأة الشريرة والفتاة اليتيمة، رقَّ قلبه وبكى هو الآخر، واحتارا فيما يجب فعله، ولكنهما تركا الأمر لعدة أيام لإيجاد الحل المناسب... خاصة أن براعة سعدية في تقمص الحكاية لم تترك مجالاً للشك. استمرت سعدية في النوم في غرفة حمد، ولم تكن هناك ممانعة من نعيمة وجاسر؛ الولد والبنت صغيران...

أخذ سعدية يرافق حمد إلى عمله الإضافي الإجباري، ساعة في اليوم، وهذا العمل لم يكن إلا لهواً له، ووصلت دفعة أخرى من الخراف إلى الحظيرة... وكالعادة يطلب جاسر من ابنه عد الخراف، سبقته سعدية

بعدها وعلق حمد بأن البنات أذكى من الأولاد، باستثناء عزة ابنة خالته، فردت سعدية بعفوية إن جدها وأمها وأخواتها علموها الكثير، وأدركت سعدية أنها ناقضت ما روته عن البنت اليتيمة والمرأة الشريرة ولاحظ حمد ارتباك سعدية فقال:

- "أنت كذابة، وأنا كذاب، والكذب مش حرام على المعلمين والأهل؛ لأنهم يعذبوننا في الدراسة!".

ومرَّ يوم سعيد آخر على سعدية ويوم آخر أسعد، وجاء يوم السعد لسعد، حينما اكتشفت بالصدفة أن لحمد أيضاً حمامة وهي التي اعتقدت أن حمامتها نادرة وقد ابتليت بها... وفي المساء وبعد الانتهاء من اللعب، كان لا بد لبراءة الأطفال من أن تتساءل:

- "حمامتك ما بتعمل مشاكل والناس بتزعل منك يا حمد؟؟!".

رد عليها حمد:

- "إنت هبلة!؟ كيف بدها تعمل مشاكل؟".

فتقول سعدية:

- "أنا حمامتي عملت مشاكل كثير...".

رد عليها حمد:

- "إنت ما عندك حمامة لأنك بنت، أنا عندي حمامة لأني ولد...".

وحينما تأكد حمد أن سعدية لها حمامة حسم الموقف وقال:

- "إنت ولد مش بنت، طيب ليش عاملة بنت إذا عندك حمامة؟!".

سعدية ببراءة:

- "أنا ما عملت شي! أهلي مرة بقولوا أنا ولد واسمي سعد، ومرة أنا بنت واسمي سعدية، وأنا ما بعرف شو أنا!".

انطلق حمد يشرح لسعد بطريقته الطفولية:

- "إنت ولد مثلي مش بنت، وأهلك مجانين لأنه البنت ما عندها حمامة، عزة بنت خالتي بنت ما عندها حمامة".

ولأول مرة في رحلة ضياعه يبدأ باستيعاب أنه أقرب إلى سعد من سعدية... وحمد الصغير الذي لم يبلغ من العمر ثماني سنوات استطاع أن يوفر أجوبة لسعد الذي يصغره بشهر أو شهرين فقط... نام سعد وابتسامة ملائكية ارتسمت على شفتيه فهو يعيش في مكان لا يخشى الناس فيه من الحمامة.

سعد لا سعدية

وفي اليوم التالي كان لابد للمشاغب حمد أن يجد الحلول لمشاكل صديقه، فأخذ المقص الذي يجز به صوف الخرفان وبدأ بقص شعر سعد دون أي ممانعة منه، وحينما عادا إلى البيت ورأت نعيمة التشويه الذي حدث لشعر سعدية صُدمت وأخذت تصرخ:

- "مين اللي قص شعرك يا سعدية؟؟".

فأجاب حمد بثقة كبيرة:

- "هذا سعد ومش سعدية والساحرة الشريرة أجبرته على أن يكون بنتاً".

نعيمة، تعض على أسنانها وتتوعده بعقاب ليس مثله عقاب، ولا تشك للحظة أن هذا أحد مقالبه، فيوجه حمد كلامه لسعد قائلاً:

- "خليها تشوف الحمامة ... إمي ما بتصدق إلا تشوف بعينيها".

يكشف سعد عن حمامته للمرة الأولى بثقة، بعد أن أقنعه حمد ألا يخاف، وأن أحداً لن يعاقبه...

نعيمة لا تصدق عينيها! كيف تحولت الفتاة الصغيرة الجميلة بين لحظة وأخرى إلى ولد! وتبدأ الأسئلة، ويضطر سعد إلى أن يصوغ القصة من

جديد، المرأة الشريرة طلبت منه ألا يخبر أحداً أنَّه صبي، وإلا ستعاقبه، ومن جديد أشفقت نعيمة على ما عاناه سعد من عذاب على يد المرأة الشريرة، وعندما عاد جاسر للبيت أخبرته القصة فرقَّ قلبه وبكى هو الآخر، وفي الغرفة جلس الصغيران يضحكان على المرأة الشريرة.

توالت الأيام، وأخذ الصغيران يذهبان إلى المدرسة معاً، وشخصية حمد الواثقة المشاكسة انعكست على شخصية سعد المهزوزة، وذكاء سعد غير العادي انعكس على مستوى حمد الدراسي، فلم يعد يتلقى عشرات الإنذارات بسبب ضعفه في الدراسة، أما لأسباب أخرى فلا يمر أسبوع دون إنذار أو عشرة...

الحنين والاشتياق إلى الأم والأخوات والـ "يااااباه" ومزرعة التلة لم يفارق سعد يوماً، وبراءة الطفولة تأبى أن تقتنع أنه لن يعود للعذاب والضياع والعقاب في وطنه. وعلى الرغم من تحرره من عقدة الحمامة فإنَّ الخوف ما زال يسيطر عليه، والكوابيس تطارده وتقض مضجعه، بعد أن وجد الأمان والاستقرار والسعادة والثقة مع أسرته الجديدة، وحمد الوحيد الذي عرف أسراره وحافظ عليها استطاع أن يجيبه عن الكثير من تساؤلاته، إلا موضوع الختان، الذي لا يذكر أنه مر به من قبل، حتى أنه

صدَّق أن ما حدث مع سعد بالختان هو نوع من العقاب لسبب ما، أو أن أهل بلدته يخافون من الحمامة فعلاً...

مر عام كامل ونجح حمد للمرة الأولى في الدراسة بمستوى أفرح عائلته كثيراً، وشعروا بأن وجه سعد قد جلب عليهم الكثير من الخير، خاصة أنه حينما دخل حياتهم كانت العائلة تعاني الكثير من الأزمات المادية، ومع وصوله بدأت أوضاعهم بالتحسن تدريجياً...

سعد حافظ على وعده لجده سليم ولم يظهر ذكاءه غير العادي، والتعليم في المدرسة كان بالنسبة إليه سبباً لمرافقة حمد، والمرح معه لا أكثر، فكل المواد الدراسية كانت لا تستحق أن يبذل جهداً من أجلها، ولم يظهر ذلك أبداً بل كان يتعمد أن يخطئ في الكثير من الأجوبة؛ خوفا أن يكتشفوا ذكاءه ويخرجوه من المدرسة.

بدأ العام الثاني على اختفاء سعد، وأخذ يشارك حمد مغامراته ومقالبه المجنونة، والتي طالت الجميع بتخطيط سعد الصغير الخجول الهادئ، وبتنفيذ المشاكس الجريء الذي لا يوفر فرصة لعمل مقلب بأحد، وكم كانت نعيمة سعيدة، بعد أن أصبح حمد عاقلاً وما عاد أحد يشكو منه، وهي لا تعلم أن كل ما في الأمر أن أحداً لم يعد قادراً على كشفه ليشكوه!

الديك يبيض

مر العام الثالث والمغامرات لا تتوقف، والوحيد الذي تمنى حمد لو أنه يستطيع الانتقام منه كان أبو رمضان العجوز الخبيث، الذي لا تفوته شاردة. فقد اتهم حمد كثيراً في الماضي، وتسبب في عقابه عشرات المرات، حتى أن حمد تجنب المرور من الحارة التي يسكنها، وهي الحارة الوحيدة التي نجت من مقالب حمد... هذا الأمر لم يعجب "سعد" وكان لا بد أن يخطط للثأر لما حدث لصديقه في الماضي، ومعاً تسللا ليلاً وسرقا دجاجاته، وتركا له الديك، وفي اليوم التالي جاء أبو رمضان ليتهم حمد بسرقة الدجاج كالعادة، ولكن ما كان ليثبت ذلك، خاصة أن سعد المهذب يشهد له. أخذا يتسللان كل ليلة إلى خم الديك ويضعان بجانبه بيضة، وبعد أسبوع بيضتين، وبعدها ثلاث بيضات، لم يعجب الأمر حمد، خاصة أن هذا الأمر قد بدأ يستنزف مصروفهما، خاصة عندما لا يتوافر البيض في البيت ليسرقاه دون علم نعيمة. قال لسعد إن خطته فاشلة وإن عليهما سرقة الديك بدل إعطائه البيض مجاناً. قال له سعد إن هذه الخطة قد قرأها في أحد الكتب بمكتبة جده وتحتاج إلى الصبر. استمرا بالتسلل ووضع البيض بجانب الديك وبعد أسبوع طلب

سعد من نعيمة أن تعطيه ثلاث بيضات من أجل حصة الفن في المدرسة، وفي الصباح الباكر وعلى غير العادة، توجه الاثنان إلى حارة أبو رمضان، وطلب سعد من حمد أن يمر بجانب بيته، وأن يظهر البيض ليراه العجوز، فرد عليه حمد إنه إن رأى "أبو رمضان" البيض فسيكتشف خطتهم الفاشلة، فأخبره سعد أن هذا هو المطلوب، حمد يثق في سعد فلم يخذله يوماً، وفعل ما طلب ومر من أمام بيته وأخذ يلعب بالبيض. رآه أبو رمضان وأخذ البيضات منه، وقال له حسابك سيكون اليوم عند جاسر يا سارق الدجاجات، هرب حمد وسعد من العجوز باتجاه المدرسة ولام حمد سعد لأن خطته قد كشفت سرقة الدجاج أيضاً. قال له سعد لا تخف فهذه هي الخدعة وقد نجحت في القصة فقد أقنع أحدهم الجميع أن الكلب يبيض ولا بد أن تنجح معنا. بعد المدرسة عاد المشاغبان إلى البيت، وأخبرا نعيمة أن "أبو رمضان" هجم على حمد وأخذ البيضات منه...ونعيمة لا تصدق أن "أبو رمضان" العاقل يعتدي على الأولاد دون سبب. خاصة إذا كان الولد حمد، وبعد عدة ساعات... جاء "أبو رمضان" برفقة أحد الرجال لمطالبة جاسر بثمن الدجاجات التي يتهم حمد بسرقتها منذ ما يقارب الشهر، والدليل أنه قد أمسك به مع البيضات الثلاث التي لم يجدها مثل كل يوم بجانب الديك... استغرب جاسر

وسأل وهل تتهم ابني بأنه سرق دجاجاتك وترك لك الديك البياض؟ أبو رمضان يقسم بأن هذا الديك يبيض فعلاً على الرغم من أنه لا يجد تفسيراً لهذا، واليوم أمسك حمد مع البيض. وهنا رد عليه جاسر وقال له أن يذهب ويروي هذه القصة لعاقل فإن اقتنع بها فليعد معه ليدفع له ثمن الدجاجات والبيض أيضاً. الرجل الذي رافق أبو رمضان شعر بالإحراج لما يقوله رفيقه، وعاد الاثنان، وأبو رمضان لم يتنازل عن حقه، أخذ يروي القصة للناس ويتهم حمد بالسرقة... أما جاسر ونعيمة فقد شعرا بأنهما ظلما حمد أكثر من مرة في الماضي بناءً على شهادات أبو رمضان، وعوضاه كثيراً عن هذا الظلم، فحصل على الكثير الكثير من ساعات اللعب. في المساء قال حمد لسعد: "يلا خطط كيف بدنا نقنع عزة بنت خالتي إنها بتبيض مثل ديك أبو رمضان!!".

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن... حملت الرياح تاجر الخراف إلى قرية أم الصوف، لجمع الديون المستحقة على التجار وبيع الخراف، وكان جاسر أحد زبائنه، وأحد المدينين له أيضاً. زاره في محله، وأثناء احتسائهما القهوة لمراجعة الحساب، دخل المشاغبان حمد وسعد وعمَّت الفوضى.

رباح، الشقيق الأصغر لسداس، وهو من استلم تربية الخراف والمتاجرة بها بعد وفاة الحاج فخري، قد رأى سعدية للمرة الأولى في اليوم المشؤوم،

الذي مات فيه والده الحاج بعد لحظات من لقائه بالحمامة، وعلى الرغم من مرور السنوات الثلاث على اختفاء سعدية فإن ملامحها ما زالت تدل عليها...

أخبر شقيقه بالأمر، وما كان سداس ليتوانى عن السفر إلى آخر العالم لملاحقة أي خيط يقوده للعثور على ابنه، وقد فعل ذلك مئات المرات في السابق قبل أن يدب اليأس في قلبه، وعلى الرغم من أن قرية أم الصوف تبعد عن التلة ساعات من السفر، فإنه لم يتردد للحظة واحدة في التوجه إليها، وهذه المرة كان أكثر حكمة، فهو لا يريد أن يرتكب الحماقات، كما حدث معه في الماضي من اقتحام بعض البيوت بحثاً عن ابنه، وما تبع ذلك من تعقيدات حينما تبين أنه مخطئ.

لم يجد سداس صعوبة في الوصول إلى جاسر، ولا إقناعه بأنه تاجر يسعى لعقد صفقة معه، وكان يملك من الدهاء ما يكفي ليدفعه لدعوته لتناول الغداء في بيته، وتم ذلك فعلاً. توجه الاثنان إلى المنزل، وسمعت نعيمة من زوجها بالصفقة الكبيرة، فرحت وأسرعت إلى طلب النجدة من أختها أم نوح لتساعدها في إعداد الطعام لضيف "الغفلة"، فهي لم تعتد على استقبال هذا النوع من الضيوف، فجأةً ودون علم مسبق؛ لتستعد للقيام بالواجب.

سداس يتظاهر بالابتسام ويتبادل مع مضيفه أطراف الحديث وعيناه تبحثان في الأرجاء عن ابنه سعد. يتناول الطعام ويحتسي القهوة ويطيل الحديث لكسب الوقت في انتظار الفرصة ليتأكد من أن من رآه شقيقه هو ابنه فعلاً. عاد الأولاد من المدرسة، ودخلا مسرعين إلى المطبخ مارين من أمام جاسر وسداس، دون أن يعيرهما أي انتباه، والطعام هو ما شغل تفكيرهما...

كانت الثواني التي مر بها سعد بالقرب من والده كافية، ليتأكد أنه ابنه بشحمه ولحمه، فتنفس الصعداء. سأل جاسر إن كان الولدان من أبنائه، فرد عليه بأنهما ابناه. اعتدل سداس في جلسته ومد ساقه بطريقة مهينة لمضيفه وقال:

هل أنت متأكد من أنهما ابناك أم ترغب بالتفكير في الإجابة مرة أخرى.

تسلل الخوف إلى قلب جاسر من نظرات ضيفه، ونبرات صوته المريبة،

- "ولماذا تسأل عن الأولاد؟؟".

رد عليه سداس والشر يتطاير من عينيه:

- "لأني على ثقة بأن أحدهما ليس ابنك!".

جاسر تأكد أن ضيفه ليس ما يدَّعيه، وتذكر قصة سعد عن المرأة الشريرة، واحتمالية أن يكون ضيفه على علاقة بها، فاستجمع شجاعته واستعد للمعركة، خاصة أن الشرر الذي تطاير من عيني ضيفه أنبأه بحتميتها، فسأله عمن يكون. فرد عليه مستهزئاً:

- "أنا والده لابنك!".
- "أيعقل أنك والد سعد".

رد سداس عليه ساخراً:

- "لا، أنا والدته وأنت والده واليوم سأطلقك".

صمت جاسر ولم يعد يملك الكلمات ليقولها لتساعده على فهم ما يدور حوله، هل هذا فعلاً والد سعد أم أنه مجرد ادعاء، نادى على سعد ليتأكد منه. لبى سعد النداء مسرعاً، وما إنْ تلاقت عيناه بعيني والده حتى ارتبك واختبأ خلف جاسر، وأخذ يسترق النظر باتجاهه بعين واحدة، غادر الشر عيني سداس، وترغرغت الدموع فيهما، فتح ذراعيه وقال:

- "تعال ياباه تعال... حبيبي تعال ليش خايف".

سعد يتردد قليلاً ولكن شوقه لوالده يدفعه لأن يلقي بنفسه في أحضانه، يبكي سداس مثل طفل صغير وهو يحضن ابنه وكذلك الأمر فعل سعد، وتحضر نعيمة وحمد، والكل يقف مشدوهاً مذهولاً، لا يجد أحد تفسيراً

لما يحدث! وبعد دقائق من البكاء، سأل جاسر سعد ليتأكد من هوية الرجل:

- "من هذا يا سعد؟؟".

رد سعد وهو يتذكر أنه يجب أنْ يخشّن صوته ويشد على الأحرف:

- "هذا أبوووي أنا...".

عاتب جاسر سعد على قصة الشريرة التي رواها سابقاً، وأحنى سعد عينيه خجلاً، فسأل سداس ابنه عن الشريرة ومن تكون.

سعد يحني رأسه خجلاً ويتطوع حمد للإجابة:

- "الشريرة التي أرغمته على إطالة شعره وحولته إلى فتاة!".

ترقرقت عينا سداس بالدموع مرة ثانية وقال:

- "معك حق أن تهرب من الأشرار أولاد الكلب".

ساد جو من الهدوء، وتبادل الطرفان حديثاً طويلاً حول ما حدث في الأعوام الثلاثة الأخيرة، وزال سوء الفهم بين سداس وعائلة جاسر، وعاد الخوف ليسكن سعد من جديد بعد أن فارقه كل هذه السنين، أخذ يبكي ويرجو والده ألا يأخذه معه... تفاجأ الجميع من ردة فعل سعد، فتطوع حمد من جديد وأخبرهم أنه إن عاد سيعاقبونه مرة أخرى! سداس لم يفهم المقصود من كلام حمد، وسأل أكثر من مرة حتى

أدرك الالتباس الكبير الذي حدث عند سعد بسبب الختان، وأخذ يشرح لسعد، وساعده على الشرح جاسر ونعيمة، وبعد جهد جهيد اقتنع سعد ومعه حمد أن ما حدث لم يتعد الختان، ولم يكن عقاباً. غادر سعد برفقة والده تاركاً خلفه الأم والأب والأخ؛ الأمان والسعادة.

وصلا إلى التلة ومنها توجها إلى مزرعة الأحمدي، وكانت أول من رأتهم شقيقته سلمى، هرعت تصرخ وتنادي على أمها وجدتها وأختها:

– "سعد يا ماما سعد!! سعد يا تيتا سعد!! سعد يا شوشو سعد!!".

أخذت كل واحدة تسابق الأخرى للوصول إليه، تخاطفته الأيدي وأمطرته القبلات، وأشرقت الشمس من جديد على مزرعة التلة بعد غياب، عينا سعد تبحث في الأرجاء عمَّن اشتاق إليه أكثر من الجميع فلا يجده... إحساس مقيت يراوده ويمنعه من السؤال عن جده، ولكن دموع الفرحة والحزن التي امتزجت معاً في عيني جدته سلمى، وبعض الكلمات الحزينة التي ارتسمت على شفتيها، كانت كافية ليعرف الفتى أن جده سليم غادر الحياة دون أن يودعه... وأن بلدته لن يجد فيها سوى الأحزان!".

انتشر الخبر وفرح معظم أهل البلدة لعودة الحمامة، بعد ظنهم أنها طارت، وبعد مرور أيام كان السؤال المهم والأهم لماذا قامت سعدية بقص شعرها؟!

سداس لم ينسَ ما فعله جاسر مع ابنه سعد، وفكر في أنه لا بد من أن يقدم له شيئاً في المقابل، ولكن الشيء المشترك بين غباء سداس وذكائه، أنه لا يحب أن يدفع شيئاً من جيبه الخاص، ولهذا ضغط على شقيقه رباح أن يدعم "جاسر" بكل ما يحتاجه من خراف وأن يكون الدفع ميسراً، وهذه الخطوة ساعدت "جاسر" كثيراً ليعود لمكانه السابق في السوق، ولكن الدعم الأكبر الذي حصل عليه وجعله يعود إلى ما كان عليه في السابق، جاء من طرف سلمى الأحمدي التي سددت ديونه كلها، عرفاناً بالجميل، أما سعد وحمد فقد كبرا معاً كإخوة على الرغم من المسافة البعيدة التي تفصل التلة عن أم الصوف.

سعد والمنطق السداسي

سلمى الأحمدي صاحبة المزرعة الأكبر في البلاد والمرأة الأكثر ثراءً، كانت تريد لسعد أن يتعلم في أي مكان خارج التلة، حتى لو تطلب الأمر أن تفتح له مدرسة خاصة، وشاركتها الرأي ابنتها جميلة، وحفيداتها شفيقة وسلمى، أما سداس فهو يرى أن بلدة التلة هي مركز الكون، وأصر على أن يكمل سعد تعليمه وحياته داخل التلة، حيث أهله وأقاربه، وهي فرصة ليثبت للناس أنه سعد وليس سعدية، والمنطق السداسي يفوز دوماً.

سُجل سعد في مدرسة الأولاد الإعدادية تحت اسم سعد أبو نخري نخري عبود، وكان اسماً على الأوراق فقط، أما في المدرسة فقد غلب اسم سعدية على سعد، وكان في نظر الجميع الفتاة الأولى والوحيدة التي تدرس في مدرسة التلة للأولاد، حاول سعد كثيراً أن يوضح للجميع أنه فتى واسمه سعد، إلا أن فلسفة القطيع غلبت... سعدية هي سعدية مع حمامة أو دون حمامة!

تجاهل سعد ما يدور حوله ظاهرياً، وتغلب على الكثير من الصعاب، وفي أعماقه لم يمر يوم دون أن يشعر بالألم والحزن لما يدور حوله، المكان

الوحيد الذي شعر فيه بالأمان في الماضي والحاضر هو مكتبة جده، والأيام التي يقضيها برفقة صديقه الأول والوحيد حمد المشاغب... كان يتمنى لو بالإمكان أن يعود إلى مدرسة أم الصوف ليدرس مع حمد، حيث هناك الكل يعرفه على أنه سعد لا سعدية.

قرر سداس أنه لا بد للمنطق السداسي من أن يتدخل ليحسم الجدل الدائر منذ سنوات حول سعد وسعدية، وبذل كل جهده لتحويل سعد إلى بغل، وأخذ يعلمه كل أنواع الرفس وقال:

- "ارفس يابا، ارفس شمال ارفس يمين ولا تهتم! الناس لا تحترم إلا البغل الرفاس والتيس النطاح والكلب العضاض والقط الخرموش... الفهم والعقل عيب وعار".

جارى سعد والده وتعلم كل أساليب البغال، إرضاء له، ولكنه امتنع عن رفس أيٍّ كان مهما كان السبب، مما أثار حفيظة سداس منه وقال:

- إذا لم ترفس لن يحترمك أحد وستبقى سعدية، واليوم سنقوم معاً بجولة في البلدة وأريد منك أن ترفس كل من ينادي عليك باسم سعدية.

ابتسم سعد وقال:

- "ولا يهمك يااااباه، اليوم سترى ما أنا فاعل".

بدأت الجولة وكانت محطتهما الأولى المكان الذي اعتاد سداس أن يستعرض عضلاته فيه صغيراً وكبيراً (قهوة العبيط)، جلسا في الخارج في انتظار الهدف المناسب ليتدرب سعد عليه، وأول من قدم ليرحب بسداس وسعد كان صديقه العبيط الصغير، صاحب القهوة التي ورثها عن العبيط الكبير، وبالأحضان والقبلات استقبله، التفت العبيط باتجاه سعد وقال:

- "هذا أكيد ابنك سعد زلمة ابن زلمة قطع فجلة المنخار ها ها ها...".

انتفخ سداس من الإطراء العظيم وقال:

- "نعم، هذا سعد ذراعي اليمين، واليوم سيثبت ذلك فعلاً لا قولاً".

مد العبيط ذراعه ليصافحه إلا أن سعد تجاهله ورمقه بنظرة ازدراء وقال:

- "أنا اسمي سعدية مش سعد فاهم يا دونكي، يعني حمار... ويا دوج، يعني كلب... وماوس، يعني فار... وستيوبد، يعني عبيط اسم على مسمى... انقلع من وجهي ومرة ثانية لا تغلط باسمي!".

والتفت سعد باتجاه والده وقال:

- "البغل الرفاس في النهاية سيرفص صاحبه! (والحمرنة بحاجة للنهيق... والكلب المسعور ابعد عنه أحسن من تقليده)، وفلسفة الحمير لا تناسبني، ووقتي أثمن من إهداره بالشرح للبغال إن كان اسمي سعد أم سعدية، وبصراحة اسم سعدية يروق لي... هل فهمت يااباه؟!".

سداس في حالة من الذهول ولا يصدق أن هذا الذي يرد عليه بهذه الوقاحة هو ابنه المطيع، ومع أن ما قاله لا يرضيه، إلا أنه أُعجب بالوقاحة التي تصرف بها.

أنا سعدية وفخور

وهكذا بدأ سعد يضع الأمور في نصابها أمام الجميع، وما عاد يسمح لأحد أن يتحكم أو يُملي عليه كيف يتصرف. ترك شعره ليطول وأخذ يعرف على نفسه في الكثير من الأحيان باسم سعدية... وكبر ومعه حمد، ولم ينقطعا عن بعضهما البعض.

لم يكن حمد يرغب في إكمال تعليمه الجامعي إلا أن سعد مارَس عليه كل أنواع الضغط، وساعدته الشريرة أخته شفيقة في ذلك، حتى حصل على شهادة الحقوق، وبالنسبة له كانت مجرد شهادة لا أكثر ليرضي بها كل من حوله، سعداً وأمه وأباه وجميلة وبناتها؛ أما سعد فلم يواجه أي مشكلة في الحصول على أي شهادة يريدها، واستطاع الحصول على عدد من الشهادات، حتى أنه لم يعد يعلم ماذا يريد أن يتعلم، ومغامرات حمد وسعد المشتركة أخذت طابعاً آخر في منتهى الغرابة، لم تكن تتوقف إلا عدة أشهر أحياناً حين كان يسافر سعد خارج البلاد من أجل العلم.

توفيت سلمى وتركت نصف المزرعة لسعد، والنصف الآخر لابنها حسان الذي غادر البلاد قبل سنوات وتزوج واستقر في الخارج.

المنطق السداسي

الرجل الذي اعتاد أن يزرع الرعب والسرور في نفوس الجميع وحيرهم بغبائه ودهائه واكتسب الكثير من الأصدقاء والأعداء أينما حل، ضاق المكان بأعداد من التفوا حوله والتصقوا به للاستماع والاستمتاع بظرافته وأشعاره وأمثاله الغريبة وقصصه العجيبة ودهائه وغبائه والمنطق السداسي بالقضاء. ولكن سرعان ما كانوا ينفضون من حوله ويتجنبونه إن كان في الأمر تجارة أو سياسة.

وعلاقته بابنه سعد كانت قوية ومتينة أقرب إلى الأصدقاء منها لعلاقة الأب بابنه. ولم يثق بأحد كما وثق بسعد الذي لم يجاره يوماً ولم يصرف النظر عن منطقه السداسي، ولكنه قضى الكثير من الوقت بالاستماع إلى أشعاره وأمثاله وشاركه بتأليف الأغاني والعزف على العود، فما كان الشيب والسنين ليغيرا فيه شيئاً.

جاء إلى ابنه سعد وأخبره أنه قرر قراراً لا رجعة عنه، وهو أنه يود أن يعتزل كل شيء ويتفرغ للإصلاح بين الناس مقتدياً بجده شيخ العرب عبود، ومن أجل هذا الهدف السامي قد يفكر بأداء العمرة فقط، وليس

الحج حتى لا يناديه أحد بالحاج سداس، وهو يرغب بأن ينادي عليه الناس الشيخ سداس، فابتسم سعد وهو يصغي لأفكار والده وقال:

- "نعم الرأي يا أبي! ولكن هذه المهمة ستحرمك من صفع من تشاء من الناس بسبب أو دون سبب، وقد يدفعك إلى التنازل عن حكمك وأمثالك التي تنسجها بما يناسب مزاجك، وأعتقد أنه ربما عليك التريث والتفكير خمسين عاماً أخرى قبل اتخاذ مثل هذا القرار".

فأجابه بأنه لم يعد هناك من يصفعه، ولا داعي لتأخير هذا القرار ما دامت معدات المشيخة متوافرة، المسبحة الفضية، السيف، البارودة، والعباءة، ولا ينقصه إلا الحصان".

حاول سعد أن يقنعه بأن زمن الخيل والفرسان قد ولى، وحل زمن القانون والمحاكم والتكنولوجيا. وعرض عليه أن يعلمه القيادة ويشتري له سيارة، ولكنه امتعض ورد:

- "شيخ العرب لا يكون دون حصان!".

ثم أنشد عليه آخر ما نظمه من شعر:

"الخيل والبيداء تعرف سداس... والسيف والرمح والقرطاس
نخور وأعتز بتراث الجدود... وجدي شيخ العرب عبود"

وما كان شيء ليدخل البهجة والسرور لقلب سعد أكثر من الأشعار والأمثال السداسية، فقال له:

- "أرغب في أن أسألك سؤالاً ولكنني محرج".

رد عليه سداس حتى قبل أن ينهي جملته وقال:

- "تريد أن تعرف إن كنت أبله أم أتظاهر بالبله، أليس كذلك؟".

ضحك سعد وقال:

- "بصراحة لقد احترت في أمرك، والله هبلتني معك يا بابا، حتى العلم يعجز عن تحليل شخصيتك وتناقضاتك العجيبة".

تنهد سداس وقال:

- "يا بني الأيام علمتني أن البغل دوماً على حق، ولو سمعت كلامي في صغرك لكنت بغلاً محترماً. بصراحة أنا نفسي لا أعرف من أكون، حينما كنت صغيراً كنت أتظاهر بـ"البغلنة" حتى يختصرني جدك نخري، الله يرحمه، وبعد ذلك أخذت "البغلنة" مجراها، والله يرحم جدتك شفيقة، أقصد الله يطول في عمرها هبلتني بغمزاتها".

تذكر فجأة أن سعد لا يزور جدته المريضة فسأله:

- "وأنت يا حيوان، ليش ما بتزور جدتك شفيقة؟؟".
- جدتي مريضة، وأخشى زيارتها فتموت لا سمح الله، وأنا في غنى عن مثل جديد "الحمامة قتلت جده وجدته".

ضحك سعد ووالده معاً، وأكمل سداس:

- "تعال لنكمل الموضوع الأول وننتقل للثاني".

أخذ يشرح له خطته ليكون شيخ عرب، وحين انتهى سأله سعد عن الموضوع الثاني فرد عليه:

- "يا ابني، الحساب لا يفسد الأبوة، وعليه يتوجب أن ننهي موضوع حصتي بالمزرعة حتى أتفرغ لأكون شيخ عرب".

ضحك سعد وقال:

- "وما علاقتك بمزرعة سلمى الأحمدي يا أبي؟".
- "يا ابني، أنا لست أحمق، وأعرف أن جدتك سلمى قد كتبت نصف المزرعة باسمك والنصف الثاني باسم خالك حسان، والمنطق يقول إن لي حصة في هذه المزرعة لأنني أنا من خططت منذ البداية، والخطة نجحت، ولو لم أتزوج أمك لما ورثت أنت شيئاً، ولا أريد أن ينطبق علي المثل العربي ويزعجني (طلبتها المشتهية وأخذتها المستحية)".

سعد يضحك:

- "يا سلام على المنطق السداسي؟!".

تنهد سداس وهو يستذكر أيام العشق والغرام:

- "آه لو تعرف يا سعد كم قصيدة كتبت في هذه المزرعة!! ولن أتنازل عن حقي الشرعي فيها حتى لو اضطررت لقتل ألف رجل".

ضحك سعد:

- "لم يتبقَ غيري لقتله يا أبي؟".

فأجابه:

- "أنت حبيبي لن أقتلك، ولكني سأقتل خالك حسان لاسترجاع حقي، والحر لا يتنازل عن حقه أبداً".
- "لا حاجة لقتل أحد يا أبي، بإمكانك أن تعتبر أن حصتك بالحفظ والصون، وسأحافظ عليها لتتفرغ أنت للموسيقى والشعر".

يرد سداس:

- "أخشى يا سعد، أن تكون مثل جدك نخري حرامي وتسرق حقي بالمزرعة، وأنا سداس حفيد عبود شيخ شيوخ العرب ولا أحد يستطيع سرقتي".

غادر سداس تاركاً "سعد" غارقاً في الضحك، ولم يخطر على باله أن مصيبة كبيرة ستزوره وتشغله أشهراً طويلة. بعد ساعة غادره الهدوء ليفسح مكاناً لضجيج أحب الناس إلى قلبه. وصل حمد الجاسر إلى المزرعة، وخلع باب المكتبة كعادته، وصرخ:

- "يا سعد، أنا في ورطة! حرك عقلك العجيب وأنقذني".

رد عليه سعد:

- "يا أخي، ادخل بهدوء، تصرف مثل البشر! تعلم التهذيب قليلاً! واحد همجي!".
- "غداً سأتعلم التهذيب، والآن خطط بسرعة وأخرجني من المصيبة التي أوقعت نفسي بها".
- "وأين عقلك يا أستاذ حمد؟".

قال حمد وهو لا يكف عن التحرك من زاوية إلى أخرى:

- "بصراحة شهادة الحقوق استهلكت كل قدراتي العقلية! وأنت موجود لتفكر عني... فلماذا أرهق عقلي!".

فقال سعد وهو الخبير بصديقه منذ لقائهما الأول في الحظيرة:

- "وبماذا ورطت نفسك هذه المرة، هل اكتشفت غدير إحدى علاقاتك الغرامية؟".

- "اطمئن، الورطة هذه المرة أكبر بكثير من الجنس اللطيف... الله لا يوفقك يا أبو سمعان".

قبل أسابيع من هذا اللقاء، استشار حمد سعد في أمر خطير ينوي الإقدام عليه، إلا أنه حذره بشدة منه. تجهم وجه سعد واستاء، وتمنى في أعماقه ألا يكون حمد قد فعلها، وقال له:

- "لقد نصحتك ألا تقدم على مثل هذه الأمر وإن فعلتها تراجع فوراً قبل أن يورطك أبو سمعان".
- "للأسف الشديد أنا حمار لا أسمع النصيحة، وما عاد هناك مجال للتراجع!! وإن لم تجد لي حلاً سريعاً لإخراجي من ورطة فلسفة الماع ماع فسأطلب من عمي سداس مساعدتي وتحمّل أنت نتائج ما قد يحصل لاحقاً!".

وإلى اللقاء في جزء ثانٍ مع فلسفة الماع ماع . . .

المنطق السداسي

سعدية والحمامة (رواية ساخرة)

فوزي عبده/ القدس


Fawzi.h.abdo@hotmail.com



www.JarretDahab.com






ان أعجبتك الرواية لا تبخل علينا بتعليق أو مشاركة على صفحتك الشخصية